مجلة جامعة البعث

سلسلة العلوم التاريخية و الاجتماعية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 43 . العدد 8

1442 هـ - 2021 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. ناصر سعد الدين	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.
2. دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .
3. دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .
4. دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
الأوبئة في الإمبراطوريّة الرومانيّة (وباء أنطوني أنموذجاً *166- 189*م)	د. محسن يوسف محمد	72-11
تحليل القيم الجمالية والأخلاقية في المنهاج التربوي لمرحلة التعليم العام الأساسي في سورية وبيان أهميتها في بناء الشخصية	ميرنا سليمان د. فارس النداف د. عفراء اسماعيل	96- 73
العقد الاجتماعي بين الوظيفية والصراعية مقاربة سوسيو-سياسية بين مفكري عصر التنوير/النهضة و كارل ماركس نموذجاً	أ.د. أشرف غراف محمد إبراهيم	124-97
العبيد وثورة سبارتاكوس *73 – 71* ق. م	محمد نزار عبود جهاد عبود	142-125

الأوبئة في الإمبراطوريّة الرومانيّة
(وباء أنطوني أنموذجاً 166– 189م)

د. محسن يوسف محمد. قسم التاريخ/ كليّة الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة البعث

ملخص البحث باللغة العربية

يتناول هذا البحث بالدراسة وباء أنطوني الذي ظهر في العام 166م، واستمرّ بحسب المصادر التاريخية حتّى العام 189م. ظهر الوباء في الشرق بالتوازي مع حملة الإمبراطور لوكيوس فيروس على الإمبراطورية البارثية، ثمّ انتشر بسرعة كبيرة عبر الإمبراطورية الرومانية حتّى وصل إلى أقصى غرب الإمبراطورية الرومانيّة. وكان لسرعة انتشاره عوامل عدّة أهمها حركة الفرق العسكرية الرومانية، واحتشاد الجنود ضمن ثكناتهم، وحركة المسافرين والتجار وتشجيع الرومان للنشاطات المجتمعية المغلقة.

وتزامن انتشار الوباء مع الفترة التي اشتهر بها الطبيب جالينوس، لذلك فقد كتب جالينوس تشخيصاً للمرض والأعراض التي أصابت المريض به، فقدّم بذلك مادّة علمية مهمة ساعدت على دراسة المرض، وعلى الاستنتاج بأنّ المرض كان هو

الجدري وليس الطاعون.

ترك وباء أنطوني تأثيراته على مختلف النواحي في الإمبراطورية الرومانية، فعانى السكان من عدد هائل من الوفيات، وأُصيب الاقتصاد الروماني بركود كبير نتيجة انخفاض القدرة الانتاجية وتراجع الحركة التجارية وهجر الأراضي الزراعية. وقد حاولت الحكومة الرومانية مُمثّلة بالإمبراطور ماركوس أوريليوس التصدّي لآثار الوباء من خلال جملة من الخطوات والقوانين، إلا أنّ تلك الإجراءات لم تمنع من استمرار الوباء في عهد الإمبراطور كومودوس.

كلمات مفتاحية: روما، وباء، أنطوني، جالينوس، الجدري، ماركوس أوريليوس، ديو كاسيوس،

The search summary in English

This paper deals with the study of the Anthony epidemic that appeared in the year 166 AD, and continued according to historical sources until the year 189 AD. The epidemic appeared in the east in parallel with the campaign of Emperor Lucius Virus on the Parthian Empire, then it spread very quickly through the Roman Empire until it reached the far west of the Roman Empire. The speed of its spread had several factors, the most important of which was the movement of the Roman military divisions, the gathering of soldiers within their barracks, the movement of travelers and merchants, and the Romans' encouragement of closed community activities.

The spread of the epidemic coincided with the period during which Doctor Galen was famous, so Galen wrote a diagnosis of the disease and the symptoms that afflicted the patient with it, thus providing important scientific material that helped study the disease, and to conclude that the disease was smallpox and not the plague.

The Anthony's epidemic had its effects on various aspects in the Roman Empire, as the population suffered a huge number of deaths, and the Roman economy fell into a major recession as a result of the decline in production capacity, the decline in commercial activity and the abandonment of agricultural lands. The Roman government, represented by Emperor Marcus Aurelius, tried to address the effects of the epidemic through a number of steps and laws, but these measures did not prevent the epidemic from continuing during the reign of Emperor Commodus.

Key words: Rome, B, Anthony, Galen, Smallpox, Marcus Aurelius, Dio Cassius, Marcomani, Historia Augusta**.**

مخطّط البحث

- مقدمة.

أولاً: حقائق عامّة عن وباء أنطوني وطبيعته.

ثانياً: لمحة تاريخية عن الأوبئة التي ضربت أوربة قبل وباء أنطوني.

ثالثاً: مصدر وباء أنطوني وعوامل انتشاره في الإمبراطورية الرومانيّة.

1- مصدر الوباء.

2- عوامل انتشار الوباء.

أ- التجارة و السفر.

ب- النشاطات المجتمعية المغلقة.

ج- التحركات العسكرية.

رابعاً: انتشار الوباء عبر الإمبراطورية.

خامساً: تشخيص الطبيب كلاوديوس جالينوس لوباء أنطوني.

1- نبذة تاريخية عن الطبيب جالينوس ومكانته في العصر الروماني.

2- أعراض الوباء بحسب تشخيص جالينوس.

سادساً: تأثيرات وباء أنطوني على مجمل الإمبراطورية الرومانية.

1- تأثيراته الديموغرافية.

2- تأثيراته الاقتصادية.

3- تأثيراته على الجيش الرومانيّ.

سابعاً: الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانيّة للتصدّي لآثار وباء أنطوني.

1- إجراءات مُوجّهة إلى المدنيين الرومان.

2- إجراءات موجّهة إلى الاقتصاد الروماني.

3- إجراءات مُوجّهة إلى الجيش الروماني وتحركاته العسكرية.

- خاتمة.

- قائمة المصادر والمراجع.

مقدّمة:

تعرّضت البشرية، عبر تاريخها، لسلسلة طويلة من الأوبئة والأمراض المستعصية التي حصدت آلاف الضحايا. ولم تكن الإمبراطورية الرومانية بمنأى عن تلك الأوبئة، بل نالت نصيبها منها. إلا أنّ أشهر تلك الأوبئة كان" وباء أنطوني" الذي صُنّف كأحّد أسباب اضمحلال الإمبراطورية الرومانيّة، وحجز مكانه في قائمة أسوأ الأوبئة التي عرفتها البشرية. ولا عجبَ في ذلك فقد ترك هذا الوباء آثاره المدمّرة على البشر والحجر، وصدحت المصادر التاريخية بحجم الخسائر التي ترتّبت عليه.

ويحتل وباء أنطوني مكانة كبيرة في التاريخ الروماني بشكل عامّ، وفي تاريخ الطبّ القديم بشكل خاصّ، على اعتبار أنّه اقترن بالفترة التي عاش واشتهر فيها الطبيب اليوناني كلاوديوس جالينوس(Claudius Galenus)(129- 200م). كما أدّى هذا الوباء إلى تغييرات مهمة في مجرى الأحداث في الإمبراطورية الرومانية، فأوقفت روما، بسببه، حربها على الجبهة الشرقية، وكان من جملة الأسباب التي أدّت إلى الفوضى على حدود نهر الدانوب.

بدأ المرض في العام 166م، وانتشر كالنار في الهشيم حتى وصل إلى ولاية بريطانية غرباً، وترافقت ذروة الوباء مع هجوم للقبائل الألمانية على جبهة الدانوب مما شكّل عامل ضغط مضاعف على الحكومة الرومانية التي وجدت نفسها

محاصرة بالوباء وبهجمات الألمان. وبالرغم من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانية للتصدّي للوباء، إلّا أنّ المرض استمرّ في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس(Marcus Aurelius)(161- 180م)، وولده الإمبراطور كومودوس(Commodus)(180- 192م).

يشمل الإطار الزماني لهذا البحث الفترة بين 166 و 189م، وتمّ اختيار هذين العامين كبداية ونهاية للإطار الزماني بناءً على أول وآخر إشارة لذلك المرض في المصادر التاريخية.

أمّا الإطار المكاني فيشمل الإمبراطورية الرومانية بحدودها المعروفة من نهر الفرات شرقاً إلى بريطانية غرباً، ومن مصر جنوباً إلى بحر البلطيق شمالاً.

- مشكلة الدراسة:

يضع التعامل مع موضوع كوباء أنطوني أمام الباحث مشكلات أساسية تطويها تساؤلات مهمّة ينبغي الإجابة عليها. تلك التساؤلات تتلخّص في: ماهي طبيعة وباء أنطوني؟ و لماذا سُمي بهذا الاسم؟ وما هو مصدره؟ وما هي أسباب انتشاره؟ وكيف استفاد العِلم الحديث من تزامن الوباء مع الفترة التي عاش فيها الطبيب جالينوس؟ وما هي التأثيرات التي تركها على عموم الإمبراطورية الرومانية؟ وكيف تعاملت الحكومة الرومانية مع تأثيراته السلبية؟. وغيرها من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابات أكاديمية وافية.

- هدف الدراسة:

تفتقر المكتبة العربية إلى أبحاث أكاديمية تعالج موضوعات حضارية كوباء أنطوني، حيث ركّزت أغلب الدراسات على الجوانب السياسية وأهملت التفاصيل الحضارية بالرغم من أهميتها. لذلك فإنّ هذا البحث يهدف إلى أنْ يكون إضافة علمية إلى المكتبة العربية، وأنْ يُقدّم للباحثين في مجال التاريخ الروماني مادّة علمية أوليّة تُمكّنهم من صياغة رسالة أو أطروحة أكاديمية عن هذا الموضوع.

وعلى اعتبار أنّ البشرية تكافح، اليوم، ضدّ وباء فتّاكٍ يتمثّل بوباء كورونا، فإنّه يبدو من المناسب هنا استنطاق المصادر ودراستها لتقديم دراسة أكاديمية تفتح أعين الناس على ضرورة التوعية الصحية بخصوص أنّ الأمراض والأوبئة ليست مادة للاستهتار بها، بل هي أمر واقع حصد ملايين الضحايا على مرّ التاريخ، لذلك لابدّ من التعامل معها بصورة عقلانية، والابتعاد عن الأخطاء التي وقع بها السالفون.

– أهمية الدراسة:

تُعدّ دراسة وباء أنطوني وتأثيراته على الإمبراطورية الرومانية موضوعاً بالغ الأهمية في دراسة التاريخ الحضاري للإمبراطورية الرومانية، إذْ أنّ دراسة الأوبئة ونظرة المجتمع الروماني لها، يجعل من التاريخ بوتقة ينصهر فيها السياسة والطبّ والاقتصاد والدين، خاصّة أنّ الفترة التي وقع بها وباء أنطوني كانت تتوافق مع الفترة التي عاش بها الطبيب جالينوس الذي شكّل بشخصيته ومؤلّفاته مادّة علمية دسمة منذ القرون الوسطى حتّى يومنا هذا.

– منهج الدراسة:

تفرض دراسة التاريخ القديم على الباحث اعتماد المنهجين التحليلي والاستقرائي في آنٍ واحد، إذْ أنّ المعلومات التي جاءت في المصادر الأدبية اللاتينية واليونانية لا تكفي بمفردها لمعرفة الحجم الحقيقي لتأثير الوباء على مجمل الإمبراطورية الرومانية وولاياتها، لذلك كان لابدّ من استقراء ما بين السطور، وتحليل المعلومة لتقديمها بطريقة علمية مُبسّطة بعيدة عن الركاكة التي تحتويها المصادر الأدبية أحياناً.

– مصادر الدراسة:

تُعدّ المصادر العمود الفقري لأيّ بحث أكاديمي، فهي مُرشد المؤرّخ وأداته في تكوين معلوماته. وتنقسم المصادر التاريخية التي اعتمّد عليها هذا البحث إلى قسمين: الأوّل، وهو المصادر الأدبية أو الكتابية، وتُقدّم هذه المصادر معلومات

موثوقة من أفراد عاصروا الحدث وشاركوا فيه، أو من أشخاص كتبوا عن الحدث بعد فترة قصيرة، ولكنّهم اعتمدوا في معلوماتهم على وثائق عاصرت الحدث.

وعلى اعتبار أنّ وباء أنطوني قد وقع في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، لذلك فإنّ أغلب مصادره كانت باللغتين اليونانية واللاتينية، وتنوعّت مصادره بين مؤلّفات تاريخية وكتابات طبّية.

والحقيقة، أنّ الطبيب جالينوس كان المصدر الوحيد الذي توسّع قليلاً في وصف الوباء، أمّا بقيّة المصادر فأوردت إشارات متفرّقة فقط. وأهمّ المصادر التي أشارت إلى وباء أنطوني كان المؤرّخ الروماني ديو كاسيوس(Dio Cassius) في كتابه الموسوم بـ" التاريخ الروماني(Roman History)[1]"، والمؤرّخ الروماني أميانوس مارسيلينوس(Ammianus Marcellinus) في كتابه الموسوم بـ" تاريخ أميانوس(Ammianus History)"، والمؤرّخ إيوتروبيوس(Eutropius) في كتابه الموسوم بـ" مختصر التاريخ الروماني(Abridgment of Roman History)"، والمجموعة التاريخية المعروفة اصطلاحاً باسم" الهيستوريا أوغسطا"(Historia Augusta)" أو تاريخ القياصرة، والمؤرّخ باولوس أوروسيوس في كتابه "التواريخ ضدّ الوثنية (Histories against the Pagans)".

أمّا القسم الثاني، فهو المصادر الأثرية، وتُعنى هذه المصادر بآخر ما توصّلت إليه الأبحاث الأثرية من معلومات عن وباء أنطوني. وتأتي أهمّية هذه المصادر من تأكيدها لبعض المعلومات الواردة في المصادر الأدبية من ناحية، وتقديمها لمعلومات جديدة من ناحية أخرى. وقد حاول البحث الاعتماد على جديد الأبحاث التي تمّت في القرن الحادي والعشرين بشكل خاصّ على اعتبار أنّها تمّت بتقنيات علم الآثار الحديثة، وجاءت تتويجاً لآخر ما كشفته معاول الآثاريين.

[1] يتوفّر ترجمة عربية لأجزاء من كتاب ديو كاسيوس(التاريخ الروماني)، وتشمل الترجمة العربية، التي قام بها الأستاذ مصطفى غطيس، الكتب من 71 إلى 80 فقط. وللوقوف على التوثيق الكامل لهذه الترجمة، راجع قائمة المصادر في نهاية البحث.

– الدراسات السابقة، وجديد هذه الدراسة:

شغل وباء أنطوني حيّزاً كبيراً من اهتمام المؤرخين والباحثين وأساتذة الطبّ في العصر الحديث، وقدّم هؤلاء إنتاجاً علمياً لا بأس به. ولكنّ، ومع الأسف، فإنّ جميع الدراسات عن وباء أنطوني كانت باللغات الأجنبية، مما جعل المكتبة العربية تقف صامتة بخصوص حدث مهم كهذا الوباء الذي ترك بصمته في التاريخ الروماني.

وأهمّ العلماء الذين عالجوا هذا الموضوع، باللغة الانكليزية، كان الأستاذ دوكان جونز(Duncan–Jones)، والأستاذ روبرت ليتمان(R. Littman)، والأستاذ دراكوس ميتروفان(Mitrofan. D). أمّا باللغة الايطالية، فعالجه الأستاذ سيريو فيورينو(Sirio Fiorino). ولكنّ من خلال دراسة أبحاث هؤلاء الأساتذة[1]، فإنّ القارئ يلاحظ أنّهم قدّموا معلوماتهم من دون ترجيح رأي محدّد خاصّة فيما يتعلّق بمصدر الوباء أو طبيعته العلمية. كما عالج هؤلاء العلماء جانباً محدداً من الوباء دون تضمين كافّة الجوانب كعوامل انتشاره أو تأثيراته أو الاجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانية للتصدي له.

لذلك فإنّ هذا البحث سيحاول دراسة المصادر بدقّة ومقاطعة ما ورد في المصادر الصينية مع ما جاء في المصادر اللاتينية لتحديد المصدر الحقيقي للمرض، وإذا ما كانت الصين هي مصدر المرض. وإبراز دور المراكز التجارية في انتقال الوباء إلى الداخل الروماني. كما حاول هذا البحث تلافي النقص الذي جاء في الدراسات السابقة بخصوص تقديم دراسة لآثار الوباء بشكل عامّ والإجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانية للتصدّي له.

[1] للوقوف على التوثيق الكامل للدراسات السابقة، راجع قائمة المراجع في نهاية البحث.

أولاً: حقائق عامّة عن وباء أنطوني وطبيعته:

1- وباء أنطوني هو مرض غامض ضرب الإمبراطوريّة الرومانيّة في العام 166م[1]، وبقي، بالاستناد إلى ما جاء في المصادر الرومانيّة، في مستوى الوباء لفترة تزيد على العقدين من الزمن(166- 189م)[2]. وكان أعنف وأسوأ وباء تتعرض له الإمبراطورية الرومانية حتّى تاريخه[3].

2- عُرف هذا الوباء باسم" وباء أنطوني" لأنّه بدأ بالانتشار في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس أنطونينوس أوغسطس(Marcus Aurelius Antoninus Augustus)، فاقترن الاسم الأوسط للإمبراطور(أنطونينوس) بهذا المرض، ولكنّ هذا الوباء استمرّ في عهد خلفه الإمبراطور كومودوس[4].

والجدير بالذكر، أنّ بعض العلماء يقرنون الوباء بالطبيب كلاوديوس جالينوس الذي عاصر المرض وكتب عنه، فيُطلقون عليه اسم" وباء جالينوس"[5]. و لكنّ ظلّ مصطلح" وباء أنطوني" الأكثر انتشاراً.

3- لا يوجد في المصادر التاريخية ما يُشير إلى كيفية زوال الوباء وانتهاءه، وكل ما أوردته المصادر كان إشارات إلى الخطوات التي قامت بها روما للتصديّ لآثار الوباء[6]. غير أنّ تحديد العام 189م كنهاية للإطار الزماني لهذا البحث، كان بناءً

---

[1] Littman. R; Galen and the Antonine Plague, The American Journal of Philology, Vol. 94, No. 3, (Autumn, 1973), p243.

[2] Munoz-Sanz. A; Marco Aurelio Antonino (121-180 d. C.), filósofo y emperador de Roma, y la peste de Galeno, Enferm Infecc Microbiol Clin. 2012; 30 (9), p 553.

[3] McLynn. F; Marcus Aurelius: A Life, , MA: Da Capo Press, Cambridge, 2009, p459.

[4] كاسيوس، ديون: التاريخ الروماني، الجزء العاشر، الكتب LXXI- LXXX، تقديم وترجمة وتعليق: مصطفى غطيس، مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، المملكة المغربية، 2013م، ص 52.

[5] Wright. J; History's worst plagues and the heroes who fought them, Macmillan Publishing Group, LLC., New York, 2017, p16. ; Munoz-Sanz. A; op, cit, p 552. ; Littman. R; op, cit, p243.

[6] Historia Augusta, Marcus Aurelius, XIII, 1, 6.

وللوقوف على الخطوات التي قامت بها روما للتصديّ لآثار الوباء انظر الفقرة الأخيرة من هذا البحث.

على آخر إشارة تاريخية محددة إلى للوباء، وهي التي أوردها المؤرّخ ديو كاسيوس[1].

3- تُشير المصادر اللاتينية إلى الوباء بمُصطلح" plaga" التي تعني في الأصل " الضربة أو السكتة الدماغية". غير أنّ هذا المصطلح اكتسب في اللاتينية اللاحقة معنى إضافي يدلّ على الوباء أو الطاعون[2].

ومن الأهمية بمكان القول، بأنّ مصطلح" الطاعون(pestis)" لم يكتسب دلالته الحديثة كمرض جرثوميّ مُحدّد إلا في القرن السابع عشر الميلاديّ، لذلك لم يكن له المعنى نفسه في النصوص اللاتينية واليونانية[3]. أيّ أن المصادر كانت تشير إلى جميع الأمراض الوبائية، المجهولة بالنسبة إليهم، بمصطلح طاعون سواءً أكانت جدري أمْ طاعون أمْ غيرها[4].

4- دار نقاش طويل بين العلماء حول طبيعة وباء أنطوني، وفيما إذا كان هو الطاعون الدُمّلي(Bubonic plague)[5] أو الجدري(Smallpox)[1]. و لكنّ الرأي

---

[1] Dio Cassius; Roman History, LXXII, 14, 3- 4.

[2] Sabbatani. S , Sirio Fiorino; La peste antonina e il declino dell'Impero Romano, Ruolo della guerra partica e della guerra marcomannica tra il 164 e il 182 d.C. nella diffusione del contagion, Le Infezioni in Medicina, No. 4, 261-275, 2009, p261.

[3] Carmichael. A. G; Universal and Particular: The Language of Plague(1348-1500), Medical history Supplement, No. 27, pp17- 19.

[4] Duncan-Jones. R; The Impact of the Antonine plague, Journal of Roman Archaeology, No. 9, 1996, pp108- 110. ; Wright. J; op, cit, p19.

[5] الطاعون: هو مرض معدٍ شديد الخطورة تسببه بكتيريا تُدعى (يرسينيا بيستيس) أو الباكتيرية الطاعونية، وينتقل عن طريق البراغيث، وكان يعد من الأمراض الوبائية شديدة الانتشار، وهو يصيب الإنسان والحيوان. يُسبب الطاعون بكتيريا حيوانية المصدر، توجد عادة في بعض القوارض (مثل: السناجب، أو كلاب البراري، أو الفئران)، والثدييات الصغيرة وبراغيثها. وتمتد فترة الحضانة للبكتريا من يوم إلى سبعة أيام. وحمل الطاعون على مرّ التاريخ مسمّيات متعدّدة منها الموت العظيم، والموت الأسود، والطاعون الأسود. وأثبت العلماء وجود ثلاثة أنواع للطاعون هي:

أ- الطاعون الدبلي أو الدُمّلي(العقدي): وهو أحد أكثر أنواع الطاعون شيوعًا. ويتصف بعقد ليمفاوية متضخمة، ويمكن، في المراحل المتقدمة من العدوى، أن تتحول الغدد الليمفاوية إلى قروح مفتوحة مملوءة بالصديد، ومن النادر انتقال الطاعون الدبلي من إنسان إلى آخر.

ب- الطاعون الرئوي: يعتبر الأكثر خطورة، إذْ يمكن أن تكون فترة الحضانة قصيرة تصل إلى 24 ساعة فقط. ويحدث الطاعون الرئوي عندما تصيب بكتيريا الطاعون الرئتين. ويمكن أن ينتقل هذا النوع

الرأي المُرجّح أنْ الوباء كان مرض الجدري بالاستناد إلى تشخيص الطبيب جالينوس[2]، هذا التشخيص الذي أُفرد له فقرة مستقلّة لاحقاً.

ثانياً: لمحة تاريخية عن الأوبئة التي ضربت أوربة قبل وباء أنطوني:

من الصعب، استناداً إلى المصادر التاريخية المتوافرة، تحديد مستوى انتشار الأوبئة، وطبيعتها العلمية في العالم القديم. وفي الوقت نفسه، لا يمكن الجزم أنّ حالات التفشّي الوبائي كانت نادرة لأنّ الإشارة إليها في المصادر التاريخية محدودة. فمن المتعارف عليه فيما يتعلّق بالعصور التاريخية القديمة أنّ قلة الإشارات التاريخية لا تعني دائماً عدم وقوع الحدث، بل قد يعود ذلك إلى ضياع النصوص التاريخية التي وثّقت تلك الحالات، أو ربّما إلى تركيز معظم المصادر التاريخية على النواحي السياسيّة، وإهمالها لبقية النواحي من حياة المجتمع.

من الطاعون من شخص إلى آخر عن طريق الهواء. ويمكن أن ينتقل عن طريق استنشاق بكتيريا الطاعون المتواجدة في رذاذ تنفس شخص أو حيوان مصاب بالطاعون الرئوي. وينتشر رزاز الجهاز التنفسي عن طريق السعال أو العطس. بيد أن الإصابة بهذه الطريقة عادة تستلزم احتكاك مباشر وقريب (نحو ستة أقدام) من الإنسان أو الحيوان المريض.

ج- طاعون تلوث الدم: ويحدث عندما تنتشر بكتيريا الطاعون في الدم. ويمكن أن يرجع سببه إلى مضاعفات الطاعون الرئوي أو الدبلي ومن الممكن أن يحدث ذاتيًا. ولا ينتقل طاعون تلوث الدم من شخص إلى آخر. انظر:

Scott. S. Duncan. C, J; Biology of Plagues: Evidence from Historical Populations, Cambridge University Press, Cambridge. 2001, p2. ; Byrne. J; Encyclopedia Of Pestilence, Pandemics, And Plagues, Greenwood Press, London, 2008, pp 482-531.

[1] الجدري: من بين الأمراض الأكثر فتكا بالبشرية على الإطلاق. وقد تسبب هذا المرض في قتل نحو 30% من الأشخاص الذين أصيبوا به عبر التاريخ. أما الناجون فقد رافقهم العمى، وندوب عميقة جداً، وعلامات على الجلد، إضافة إلى تشوهات أخرى، مثل فقدان الشفاه والأنف وأنسجة الأذن. ويُعتقد أن الجُدري نشأ في الهند أو مصر قبل 3000 عام على الأقل، حيث عُثر على مومياء مصرية مصابة به، وهي مومياء الفرعون رعمسيس الخامس(Ramses V)(1149- 1145 ق.م)، إذْ تحمل المومياء دليل إصابة بمرض الجدري، فيغطى الرقبة والصدر والوجه بثور صغيرة بارزة.

أمّا أعراض الجدري فعادةً ما تظهر بعد 12- 14 يوما من الإصابة. وتشمل أعراضه الحمى، الصداع، التعب الشديد، آلام الظهر الشديدة، والتقيؤ. وبعد بضعة أيام، تظهر البقع الحمراء المسطحة أولا على الوجه واليدين والساعدين، وبعد ذلك على الجذع. وفي غضون يوم أو يومين، يتحول العديد من هذه البقع إلى بثور صغيرة مليئة بسوائل شفافة، تتحول فيما بعد إلى قيح. تبدأ قشور الجروح (Scabs) في التكون بعد ثمانية إلى تسعة أيام، ثم تسقط في نهاية المطاف تاركة وراءها ندوبا عميقة. انظر:

Byrne. J; op, cit, pp 647- 650.

[2] Littman. R; op, cit, p245.

تحتوي إلياذة هوميروس(Homerus) على أوّل توثيق للأوبئة التي ضربت أوربة في العصر اليوناني، فيذكر الشاعر اليوناني هوميروس، الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد، أنّ الإله أبولون(Apollon)[1] غضب على الجيش الإغريقي، المحاصر لمدينة طروادة(Troy)، فسلّط عليهم الطاعون الذي أهلك المئات منهم[2].

ويحفظ المؤرّخان اليونانيان توكوديدس(Thucydides) في كتابه" تاريخ الحرب البلوبونيزية"، وبلوتارخوس(Plutarchus) في كتابه " السِير المتقابلة" توثيقاً للوباء الثاني الذي ضرب بلاد اليونان، وتعارف العلماء على تسميته اصطلاحاً بـ" طاعون أثينا"[3]، فيذكر توكوديدس أنّ وباءً قاتلاً، مصدره مصر، ضرب الجيش الأثيني خلال حربه مع مدينة إسبارطة(Sparta) في العام 430 ق.م[4]. أمّا بلوتارخوس

[1] أبولون: من أشهر الآلهة اليونانية، هو ربّ الشمس والنبوءة والموسيقى والشباب، ودفع الأذى عن الناس. اشتهرت ديلوس مسقط رأسه كأكبر مركز لعبادته حيث كانت تُقام أعياد ومهرجانات كل أربعة أعوام تعرف باسم الأعياد البوثية نسبة إلى بوثية مكان أقدم معابد عبادته. وكان معبده في دلفي يُعدّ من أكثر المعابد الاغريقية قدسية على الإطلاق، يحجّ إليه الناس من كل حدب وصوب لاستشارته في أمور خاصة وعامّة. والإسكندر الأكبر(Alexander the Great)(356- 323ق.م) نفسه زار هذا المعبد قبل البدء بحملته الشرقية على الإمبراطورية الأخمينية. انظر: بلوتارك(فلوطرخوس): تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، المجلّد الثالث، الدار العربية للموسوعات ، بيروت، 2010م، ص1266. سلامة، أمين: الأساطير اليونانية والرومانيّة، دار الفكر العربيّ، 1988م، ص25، 84.

López Pérez. R; Apolo y Dioniso: A favor y en contra. Revista Chilena de Semiótica, 10 (58–73), 2019, p60. ; Chabrečková. B; Apollo and His Cult in the Geometric and Archaic Periods, Bachelor's Diploma Thesis, Masaryk University, Faculty of Arts Department of Archaeology and Museology, 2014, pp 7- 46.

[2] Homer; The Iliad, I, 43- 52.

[3] Cunha. B; The Cause of the Plague of Athens: Plague, Typhoid, Typhus, Smallpox or Measles? Infectious Disease Clinics of North America, No. 18. 2004, pp29- 43. ; Morens. D and Littman. R; Epidemiology of the Plague of Athens, Transactions of the American Philological Association, No. 122, 1992, pp 271- 304. ; Soupios. M. A; Impact of the Plague in Ancient Greece, Infectious Disease Clinics of North America, No. 18, 2004, pp 45 -51.

[4] Thucydides; History of the Peloponnesian War, II, 47- 58.

فيذكر أنّ مرضاً وبائياً أصاب مدينة أثينا، أدّى إلى إصابة المرضى به بالعمى، وكان سبّبه اكتظاظ الناس واحتشادهم في مساحات ضيّقة[1].

تحدث فجوة تاريخية بخصوص الأوبئة، بعد طاعون أثينا، تمتد حتّى العام 205 ق.م، فيُسجّل المُؤرّخ الروماني ليفيوس(Livius) في كتابه" التاريخ الروماني" حدوث طاعون في إيطاليا في ذلك العام[2]، ثمّ يُشير إلى طاعون آخر ضرب روما في العام 178 ق.م[3]. ولكنّ ليفيوس لا يُقدّم أي شروحات في كِلا المرتين التي ضرب بهما الطاعون العاصمة روما.

الطاعون الثالث الذي ضرب روما، وجرى توثيقه من قِبل ليفيوس، كان طاعون العام 174 ق.م، وهنا بالتحديد يُقدّم ليفيوس بعض المعلومات فيذكر: " بدأ الطاعون بقتل الماشية، ثمّ انتقل إلى الناس. أولئك الذي تعرّضوا للإصابة لم يتعافوا بسهولة في اليوم السابع من إصابتهم بالمرض، أمّا أولئك الذي تعافوا بعد اليوم السابع، فقد ظلّوا يُعانون من تأثيرات طويلة الأمد... لقد مات العبيد بشكل خاصّ، وانتشرت الجثث على امتداد الطُرق، وبقيت الجثث على حالها، حتى الكلاب والنسور لمْ تلمسها" [4].

تُؤكّد إشارة ليفي إلى أنّ المرض أصاب العبيد بشكل خاصّ، صحّة كلامه بخصوص أنّ المرض بدأ بقتل الماشية، إذْ من المعروف أنّ العبيد في العصر الرومانيّ، كان يُسند إليهم مهام التعامل مع الحيوانات كرعيها أو ذبحها أو مُداواتها في حال مرضها[5].

---

[1] بلوتارك(فلوطرخوس): تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، المجلّد الأول، ص388.

[2] Livy; History of Rome, XXVII, 46, 15.

[3] Livy; History of Rome, XLI, 5, 11.

[4] Livy; History of Rome, XXXIX, 41. ; XI , 19 ,6 -8 ; 36, 13 -37. ; XLI, 21, 5- 10.

[5] للمزيد عن المهام والأعمال التي قام بها العبيد في العصر الروماني، راجع : حمدان، عبد المجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأوّل قبل الميلاد، مجلّة دراسات تاريخيّة، العددان 117- 118، كانون الثاني- حزيران، دمشق، 2012م، ص53- 88. ومن الكتب الحديثة التي صدرت و عالجت موضوع العبيد والمهام الموكلة إليهم، راجع:

وعلى اعتبار أنّ ليفي لم يُحدّد ما هو ذلك المرض الذي ضرب روما، لذلك فإنّ باب الفرضيّات قد بقي مفتوحاً على مصراعيه، مع ترجيح مرض الطاعون الدُمّلي[1].

تعود الفجوة التاريخية فيما يخصّ الأوبئة حتّى عهد الإمبراطور نيرون(Nero) (54- 68م)، فيذكر المُؤرّخان الرومانيان سويتونيوس(Suetonius) في سرده " لسِيَرْ القياصرة"، وتاكيتوس(Tacitus) في كتابه" الحوليات" أنّه" في عهد الإمبراطور نيرون، وخلال خريف واحد، سُجّل موت 30 ألف شخص بسبب الطاعون[2].

الوباء التالي الذي جرى تسجيله في المصادر التاريخية، كان الطاعون الذي ضرب روما في أعقاب ثوران بركان فيزوفيوس(Vesuvius)[3] في العام 79م أي في عهد الإمبراطور تيتوس(Titus)(79- 81م). الذي بذل جهوداً كبيرة للحيلولة دون انتشار المرض. فعمل على تقديم المساعدة للمُتضرّرين من المرض المُترافق مع زلزال مُدمّر ضرب روما. كما قام بتقديم الأضاحي للآلهة لتشفع لسكّان روما وترفع عنهم ذلك الوباء[4].

Knapp. R; Invisible Romans Prostitutes, Outlaws, Slaves, Gladiators, Ordinary Men And Women…The Romans That History Forgot, Profile Books Ltd, London, 2011, pp105- 142.

[1] Ziolkowski. A.; The plundering of Epirus in 167 B.C.: Economic considerations, 1986, p76.

[2] Suetonius; Lives of the Caesars, Nero, XXXIX, 1. ; Tacitus; Annals, XVI, 13. 1- 3.

[3] بركان فيزوفيوس: يُعرف أيضاً باسم فيزفوس(Vesvus) أو فيزفيوس(Vesvius). أشهر بركان في التاريخ الرومانيّ، يقع على ساحل كمبانيا(Campania) بالقرب من بلدات بومبي(Pompeii) وهركولانيوم (Herculaneum) ونيابوليس (Neapolis). اعتبره الرومان بُركاناً خامداً لفترة طويلة من الزمن، حتّى أنّ الثوار العبيد بقيادة سبارتاكوس(Spartacus) اتّخذوا منه مأوى أثناء ثورتهم في سبعينيّات القرن الأوّل قبل الميلاد. وفي 29 أب من العام 79م حصلت الكارثة بانفجار هذا البركان الذي تسبّب بمحو المُدن المحيطة به ودفنها تحت الرماد. وكان هذا البركان السبب في فقدان العالم الموسوعيّ "بليني الأكبر" لحياته أثناء محاولته تسجيل ملاحظات علميّة عنه. انظر:

Bunson. M; Encyclopedia of the Roman Empire, New York, 2002, p 576.

[4] Historia Augusta, Titus, VIII, 3- 4.

وشهد عهد الإمبراطور هادريان(Hadrian)(117- 138م) حدوث وباء جديد، حاول الإمبراطور، بحسب مجموعة الهيستوريا أوغسطا، التعامل معه للخروج بأقلّ الخسائر[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ المصادر التاريخية، سواء أكانت سويتونيوس، أم تاكيتوس، أم الهيستوريا أوغسطا، لم تُقدّم معلومات كافية تُفيد بتشخيص نوعية تلك الأوبئة التي ضربت روما بين عهدي نيرون وهادريان، وكُلّ ما قدمته كانت إشارات مُتقطّعة لا تكفي للجزم بنوعية تلك الأوبئة.

ثالثاً: مصدر وباء أنطوني و عوامل انتشاره في الإمبراطورية الرومانيّة:

بدأ وباء أنطوني في الولايات الشرقية من الإمبراطورية الرومانية، وانتشر عبر أسية الصغرى حتّى وصل إلى العاصمة روما وإلى ولاية بريطانية غرباً. وساهمت عوامل عدّة في انتشار العدوى واستفحالها. لذلك سيتمّ في هذه الفقرة دراسة مصدر الوباء من خلال ما جاء في المصادر التاريخية، ومن ثمّ تقديم تحليل علمي للعوامل التي ساهمت في انتشاره.

1- مصدر الوباء:

تنسب المصادر التاريخية وباء أنطوني إلى منطقة الشرق، مع تفاوت في تسمية المنطقة بالتحديد. فيذكر المصدر الصيني المعروف باسم الهو هان شو(Hou Han shu)، أو سجلات الهان، أنّ مرضاً مجهولاً وقع في شمال الصين وأسية الوسطى بحدود العام 160م، وانتشر ذلك المرض بسرعة كبيرة عبر خطوط التجارة البريّة والبحرية. ثمّ بدأ بحدود العام 162م بالتفشّي بين أفراد الجيش الصيني الذي كان يتمركز على الحدود الشماليّة لإمبراطورية الهان الصينية(206 ق.م- 220م). وخلال سنة واحدة خسر جيش الهان ما يُقارب ثلث أفراده العاملين، ومات ثلاثة أو أربعة من كل عشرة رجال[2].

[1] Historia Augusta, Hadrian, XXI, 5.

[2] Hou Hanshu; LXV/ LV. 2133.

أمّا المصادر الرومانية فتذكر، أنّ المرض كان مصدره منطقة أسية الغربية، فأورد المؤرّخ ديو كاسيوس أنّ المرض بدأ في أرمينيا(Armenia)[1]، وبلاد ما بين النهرين(Mesopotamia)، حين كانت القوات الرومانية، بقيادة الإمبراطور المُشارك[2] لوكيوس فِيروس(Lucius Verus)(161– 169م)، تخوض حرباً شرسة ضدّ القوات البارثية على جبهة الفرات وأرمينيا[3].

وفي ظلّ الإيمان القديم بالغيب والآلهة، فإنّ مجموعة الهيستوريا أوغسطا، في سردها لسيرة الإمبراطور لوكيوس فيروس، تذهب إلى أنّ المرض كان مصدره مدينة سلوقية دجلة (Seleucia–Tigris)[4]، وأنّ الإله أبولون حلّ بغضبه على الجنود الرومان الذين نهبوا مدينة سلوقية بعد منحها الأمان. لذلك وما أنْ قام أحّد الجنود الرومان بفتح تابوت ذهبي في معبد الإله أبولون في سلوقية، حتّى هبّت منه ريح وبائيّة انتشرت بين الجنود الرومان بسرعة كبيرة[5].

---

[1] أرمينيا: تقع إلى الشرق من آسيا الصغرى، بين بحر قزوين والبحر الأسود، يقسمها نهر الفرات إلى أرمينيا الكبرى وأرمينيا الصغرى. و بقيت أرمينية، لعدّة عقود، النقطة المركزيّة في الصراع البارثي الرومانيّ. كانت أرمينيا الصغرى تقع بين بونتوس(Pontus) وكبادوكيا(Cappadocia)، بينما امتدت أرمينيا الكبرى عبر نهر الفرات على طول الحدود البارثية الواسعة. أخضع القائد الروماني بومبيوس(Pompeius)(63 -49 ق.م)أرمينية الكبرى، وغدت مملكة تابعة للحكم الروماني. أمّا أرمينيا الصغرى فارتبطت بكبادوكيا. انظر:

Bunson. M; op, cit, pp 38, 39.

[2] عرفت الإمبراطورية الرومانية نوعاً من المشاركة في الحكم في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس، فتولّى لوكيوس فيروس منصب الإمبراطور بالمشاركة مع الإمبراطور ماركوس أوريليوس. للمزيد عن هذه التشاركية في الحكم، انظر:

Orosius; Histories against the Pagans, VII ,15, 1.; Historia Augusta, Marcus Aurelius, VII, 5- 6. ; Bunson. M; op, cit, p 573.

الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط 2، دار النهضة العربية ،القاهرة ،1991م، ص276- 278.

[3] Dio Cassius; Roman History, LXXXI, 2.

[4] سلوقية دجلة: هي موقع تل عمر القديمة، على بعد حوالي 30 كم جنوب شرق بغداد اليوم. كانت مدينة ضخمة في وسط بلاد ما بين النهرين. أورد بليني أنّ عدد سكانها في أيامه(في القرن الأول الميلاديّ) كان يُقارب 600 ألف نسمة، مما يجعلها في مصافِ المُدن الأكبر في العالم القديم. كما وصف بليني أسوارها فشبّهها بالنسر الباسط لجناحيه. انظر:

Strabo; the Geography of Strabo, XVI, 1, 16. ; Pliny; N. H, VI, 30, 122- 123. ;

[5] Historia Augusta, Verus, VIII, 2.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الميثولوجيا اليونانية قد نسبت إلى الإله أبولون، القدرة على جعل البشر يُصابون بالأمراض والأوبئة، وفي نفس الوقت القدرة على شفاءهم منها[1]. وهذه الصورة للإله أبولون هي السبب في ربط الهيستوريا أوغسطا بين الإله أبولون ووباء أنطوني[2].

والحقيقة، أنّ ما جاء في مجموعة الهيستوريا أوغسطا يحمل مصداقية تاريخية لا بأس بها، إذْ كانت مدينة سلوقية دجلة، المذكورة، إحدى النقاط الرئيسية التي انتهى إليها طريق الحرير[3] القادم من الصين شرقاً، كما كانت وُجهة رئيسيّة للتجار

---

[1] يحيى، أسامة عدنان: السحر والطبّ في الحضارات القديمة، أشور بانيبال للكتاب، بغداد، 2016م، ص61- 65، 199- 202.

[2] Jackson. R; Doctors and Diseases in the Roman Empire, British Museum Press, London, 1988, p 140.

[3] طريق الحرير: هو طريق تجاري مهم عبر العصور المختلفة. وأول من أطلق مُصطلح طريق الحرير على هذا الخطّ التجاري، المُمتدّ من الصين إلى البحر المُتوسط، كان الجغرافيّ الألمانيّ فريدينانند فون ريختوفين(Ferdinand von Richthofen)(1833- 1950م) في إشارة إلى السلعة الأشهر التي مرّت عبره و هي الحرير الصيني. بخصوص المصطلح و التسمية انظر:

Christian. D; Silk roads or steppe roads? The Silk roads in world history, Journal of World History, 2000, No 11. 1, p 2.

ولمْ يكن طريق الحرير مُجرّد طريق واحد تسلكه القوافل من الصين إلى المُتوسّط، وإنّما كان شبكة من الطُرق التجارية الإقليمية التي التقت في أسية الوسطى لتتابع طريقها نحو غربي أسية. وانطلق الفرع الأول من هذه الطرق البرية من مدينة تاكسيلا(Taxila) شمالي الهند نحو عمق أسية الوسطى، أما الفرع الثاني، وهو الطريق الجنوبيّ: فكان يُتابع طريقه عبر قندهار(Kandahar)، إلى هرات(Herat)ومنها إلى مدينة إكباتانا (Ecbatana)، البارثيّة، ومنها نحو أسواق بلاد ما بين النهرين في نصيبين، وسلوقية، والعاصمة البارثية طيسفون(Ctesiphon).

أمّا الخطّ الرئيسيّ لطريق الحرير، فانطلق من مدينة لويانج(Luo yang)عاصمة الهان الشرقيين، ومنها نحو مدينة تشانجان(Changan) عاصمة الهان الغربيين، ليصل إلى مدينة كاشغار(Kashgar)، و منها نحو حواضر بلاد ما بين النهرين في طيسفون وسلوقية، أو النقطة الحدودية في نصيبين، ومنها إلى أنطاكية وبقية أسواق المتوسط. وتُقدّر الدراسات الحديثة المسافة الكُلّية لطريق الحرير من مدينة لويانج إلى مدينة طيسفون بما يزيد على سبعة آلاف كيلومتر. انظر من المصادر:

Strabo; the Geography of Strabo, II, 1, 15.

ومن المراجع:

Warmington. E. H; The Commerce between the Roman Empire and India, Curson Press, London, 1928, pp 20, 21. ; Avari. B; India: The Ancient Past A history of the Indian sub-continent from c. 7000 B. C to 1200 A. D, Rutledge, New York, 2009, p 135. ; Liu. X; Ancient India and Ancient China: Trade and Religious Exchanges, 1–600 AD, Oxford University Press, Oxford, 1994, pp2- 11.

الرومان القاصدين بلاد ما بين النهرين للحصول على السلع الشرقيّة. ويُشير نقش من مدينة تدمر(Palmyra)، يُؤرَّخ بالعام 19م، إلى أنّ مدينة سلوقية دجلة كانت مُلتقى للجاليات التجاريّة اليونانيّة والتدمريّة[1]. أضف إلى أنّ سلوقية دجلة كانت تقع على القناة التي تصل نهري دجلة والفرات مما سمح لها بالحصول على السلع التجارية من كِلا الممرّين المائيين المهمّين[2]. لذلك من المرجّح جداً أنْ يكون الوباء قد انتشر في سلوقية أولاً بحكم صلاتها التجارية مع أسية الوسطى ومنها مع الصين، وكونها سوقاً مفتوحة يختلط فيها التجار من شتّى بقاع العالم المعروف آنذاك.

ويُعيد المُؤرّخ الروماني أميانوس مارسيلينوس، هو الآخر، مصدر المرض إلى الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، فيُورد في تعبيره عن مدى انتشار المرض عبر الإمبراطورية الرومانيّة: " حمل هذا المرض الخراب من حدود فارس على امتداد الطريق إلى الراين(Rhine) وبلاد الغال(Gaul)"[3].

ويشترك المؤرّخ أيوتروبيوس مع المصادر السابقة في جعل الشرق البارثي مصدراً للوباء فيُورد: " فُقدت جيوش بأكملها في أعقاب الانتصار البارثي، لأنّ مرضاً مُدمّراً أصاب القسم الأكبر من سكّان الإمبراطورية"[4].

أمّا لوقيان السميساطي، فيذكر أنّ المرض بدأ في مدينة نصيبين قبل أنْ يظهر في مدينة سلوقية وبلاد ما بين النهرين السفلى[5].

---

[1] Inventaire des inscriptions de Palmyre, IX, 6.

[2] McLaughlin. R; Rome and the Distant East, MPG Books Group Ltd, New York, 2010, p95.

[3] Ammianus Marcellinus; Ammianus History, XXXI, 6, 24.

[4] Eutropius; Abridgment of Roman History, VIII, 12.

[5] Lucian of Samosata; How to Write History, XV.

لوقيانوس السميساطي: أعمال لوقيانوس السميساطي المفكر السوري الساخر في القرن الثاني الميلادي، ترجمة: سعد صائب ومفيد عرنوق، دار المعرفة، دمشق، 1987م، ص249.

و من الأهمية بمكان القول، أنّ مدينة نصيبين كانت هي الأخرى، مثل سلوقية دجلة، إحدى المحطّات الرئيسية التي ينتهي إليها طريق الحرير القادم من الشرق الأقصى، إذْ منحها موقعها الاستراتيجي في وسط بلاد ما بين النهرين العُليا، بين أعالي دجلة والفرات، أهمّية تجاريّة كبيرة، فكان ينتهي إليها قسم من السلع الحريريّة القادمة من الصين و بالتالي كانت مكاناً لالتقاء التجّار من الشرق و الغرب.

و فيما يلي جدول توضيحي لمكان نشوء وباء أنطوني بحسب ما جاء في المصادر الشرقية والغربية:

المصدر التاريخي	مكان نشوء الوباء	توثيق المعلومة
سجلات الهان الصينية	شمال الصين، وأسية الوسطى	LXV/ LV,2133
ديو كاسيوس(التاريخ الروماني)	أرمينيا، وبلاد مابين النهرين	LXXXI, 2
مجموعة الهيستوريا أوغسطا(في سيرة لوكيوس فيروس)	مدينة سلوقية دجلة	VIII, 2
أميانوس مارسيلينوس(تاريخ أميانوس)	الحدود الرومانية البارثية(دون تحديد مكان بعينه)	XXIII, 6, 24
أيوتروبيوس(مختصر التاريخ الروماني)	الشرق البارثي(دون تحديد مكان بعينه)	VIII, 12
لوقيان السميساطي(كيف يجب أنْ يُكتب التاريخ)	مدينة نصيبين	XV

ويدلّ تقاطع المصادر التاريخية السابق الذكر على أنّ الشرق الأقصى كان بالفعل هو مصدر المرض، فعلى اعتبار أنّ المؤرخين الرومان لم يكن لديهم معلومات

عن انتشار المرض في أسية الوسطى والصين، لذلك فقد ركّزوا اهتمامهم على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، تلك الحدود التي كان يصلها القوافل والتجّار برّاً عبر طريق الحرير وبحراً عبر الخليج العربي ومنه إلى تدمر والساحل السوري.

2- عوامل انتشار الوباء:

وُجدت عوامل عدّة، في العصور القديمة، ساهمت بانتشار الأمراض، تلك العوامل شملت التجارة ، والسفر، والنشاطات المجتمعية المغلقة، وحركة الجيش. وسيتمّ هنا توضيح طبيعة تلك العوامل ودورها في انتشار الوباء.

أ- التجارة و السفر:

لعبت الأسواق التجارية المزدحمة بالناس القادمين من مناطق مختلفة من الإمبراطورية دوراً بانتشار الوباء على نطاق واسع. وشهد العصر الروماني تطوراً ملحوظاً في تقنيات السفر البحرية، فطرأت تعديلات تقنية على السفن التجارية مما ساهم في زيادة حجمها وسرعتها[1]. ويبدو صدى ذلك التحسّن في المصادر الرومانيّة التي تذكر أنّ السفن كان بإمكانها، في حال توفّر رياح مواتية، السفر مسافة 100 ميل في اليوم، بشكل وسطيّ. ويذكر العالِم الرومانيّ بليني الأكبر،

[1] كشفت التنقيبات التي تمّت في ميناء برنيكي(Berenike) على الساحل الغربي للبحر الأحمر عن وجود فُسحات عريضة لرسو السفن الرومانيّة. تلك الفسحات كانت قادرة على استيعاب سفن بطول 33 متر، وهو ما يجعل تلك السفن قادرة على نقل شحن يُقارب وزنه حوالي 350 طن، وكان بإمكان بعض تلك السفن زيادة حمولتها لتصل إلى 500 طن، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ قسم لابأس به من قدرة السفينة الاستيعابية كان يُخصّص للطاقم والمؤون. انظر:

Hopkins. K; Models, ships and staples', in Garnsey, P. and Whittaker, C. R, Trade and Famine in Classical Antiquity, Cambridge shire: Cambridge Philological Society,1983, pp98, 99.; Sidebotham. S; Berenike and the Ancient Maritime Spice Route, University of California Press, 2011, p195.

في موسوعة" التاريخ الطبيعي" أنّ الرحلة من مدينة الإسكندرية المصريّة إلى ميناء بيوتولي(Puteoli)[1] في شبه الجزيرة الإيطاليّة استغرقت(9) أيّام فقط[2].

ومما لا شكّ فيه أنّ هذا التطوّر في تقنيات السفر قد زادَ من فرص انتقال الأمراض المُعدية من ميناء لآخر خاصّة أنّ احتشاد التجّار والمسافرين مع بعضهم البعض في حيّز مكاني محدود كان يساهم في تطوير المرض وازدياده خلال الرحلة الطويلة.

ويلوم المؤرخ الروماني بليني الأكبر التجّار الرومان العاملين في التجارة الشرقية، ويُحملهم مسؤولية انتشار الأمراض على اعتبار أنّ الشرق، برأيه، هو مصدر الأمراض المعدية. ويرى بليني أنّ هؤلاء التجّار لم يجلبوا معهم سوى السلع الكمالية[3] التي تزيد الفجور والمرض في المجتمع الروماني[4].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس الذي انتشر فيه الوباء، قد شهد زيادة في العلاقات التجارية البحرية بين روما والشرق الأقصى، إذْ سجّلت المصادر الصينية، لأول مرة، أنّ مجموعة من التجار الرومان قد وصلوا

---

[1] ميناء بيوتولي: هو ميناء بوزّولي(Pozzuoli)الحاليّ. وهو أحّد الموانئ الرئيسيّة على ساحل كمبانيا غربيّ إيطالية، وكان البوابة التجارية الرئيسيّة التي تستقبل التجارة من الإسكندريّة وإسبانية ومُعظم غربيّ البحر المتوسّط. انظر:

Suetonius; Augustus , XCVIII. ; Bunson. M; op, cit, p461.

[2] Pliny; N. H, XIII, 3- 4.

[3] يقصد بليني بالسلع الكمالية البضائع التي كان يشتريها التجار لتلبّي رغبات الطبقة الثرية في المجتمع الروماني. تلك السلع كان أهمّها الحرير و التوابل والعاج، وصدف السلحفاة وغيرها. للمزيد عن التجارة الرومانية مع الشرق و طبيعة سلع تلك التجارة، انظر:

Suetonius; Caligula, LII. ; Pliny; N. H, XIII, 2. Martial; Epigrams, XIV, 28. ; Ovid; Fasti, II, 209.

[4] تعجّ المصادر اليونانية والرومانية بمعارضة الأدباء والكتاب الرومان للتجارة الشرقية ولإنفاق الأموال الطائلة لاستيراد السلع التي ترضي رغبات الطبقة الراقية في المجتمع الروماني. انظر:

Tacitus; Annals, II, 33.; Pliny; N. H, XIII; 4. XII, 41. ;Ovid; The Calendar, IV, May 2. ; Juvenal; Satires, VI, 457- 507.; Martial; Epigrams, V, 59.

إلى الصين في حوالي العام 166م، وقابلوا الإمبراطور الصيني" هواندي ليو زهي(Huandi Liu Zhi)(146- 168م)"[1].

والحقيقة، أنّه كانت لخطوط التجارة البرية، هي الأخرى، دور كبير في قدوم المرض وانتشاره[2]، وتمّت الإشارة في الفقرة السابقة إلى إجماع المصادر الرومانية على أنّ الحدود الشرقية، التي كانت تشتمل على المحطّات التجارية الرئيسية مثل سلوقية دجلة و نصيبين، كانت هي مصدر الوباء.

ب- النشاطات المجتمعية المغلقة:

تُعدّ البيئات المزدحمة طبيعة مثالية لانتشار الأمراض المعدية، فقد كانت العاصمة روما مدينة ضخمة يحتشد فيها آلاف الناس في آنٍ واحد[3]. ويُشير المؤرّخ هيروديان الأنطاكي إلى أنّ اكتظاظ الناس في روما كان عاملاً أساسياً في تفشيّ الوباء[4]. وإشارة هيروديان كانت صحيحة، إذْ كان لتشجيع المجتمع الرومانيّ للنشاطات الترفيهية العمومية، كالمباريات والأنشطة الجسمانية، دور كبير في زيادة العدوى. فإذا كان مُدرّج الكولسيوم(Colosseum)[5] الشهير يتّسع بمفرده

[1] Hou Hanshu; LXXXVIII,12. ;Birley, A; Marcus Aurelius, Taylor & Francis e-Library, New York, 2000, p 144.

[2] Duncan-Jones. R; op, cit, pp108, 109.

[3] Stephens. W; Marcus Aurelius: A Guide For The Perplexed, Continuum International Publishing Group, New York, 2012, p40.

[4] Herodian; History of the Roman Empire, I, 12, 1-2.

[5] الكولسيوم: أو المدرّج الفلافي، هو تركيب معماريّ له شكل بيضاوي، بدأ بنائه الإمبراطور فسباسيان(Vespasian)(69- 79م) في العام 72 أو العام 75م، وأكمله ولده تيتوس. واستمرّت بعض أعمال البناء حتّى العام 81م أي حتّى عهد الإمبراطور دومتيان(Domitian)(81- 96م). عمل في بنائه حوالي 30 ألف شخص. وكان يتّسع، بعد إنجازه، لحوالي 73 ألف مُتفرّج. استُخدم الكولسيوم لإقامة المسابقات والمشاهد العامة مثل المعارك البحرية الوهمية، وقتال الحيوانات المتوحّشة، وللمبارزات بين المجالدين، وإعادة تمثيل المعارك الشهيرة. ويُعدّ الكولسيوم الإنجاز المعماريّ الأكبر والأجود في تاريخ الإمبراطوريّة الرومانيّة. انظر:

Claridge. A; Rome. Oxford Archaeological Guide, Oxford, 1998, p 278. ; Pearson, J; The Story Of the Colosseum, London, 1973, pp 75- 80. ; Sear. F; Roman Architecture, Ithaca, Cornell University Press, 1982, p 23

لحوالي(73) ألف مُتفرّج[1]، فإنّ للقارئ الحقّ في تخيّل الوضع الوبائي الذي سينتج في حال كان العشرات منهم فقط حاملين للمرض.

والحقيقة، أنّه من الطبيعي في مدينة ذات كثافة سكانية عالية كروما أنْ ينتشر المرض خاصّة أنّ السكان لم يكن لديهم خبرات معرفية أو طبية في التعامل مع مرض طارئ كمرض الجدري أو الطاعون مثلاً.

كما ساهمت الحمامات الرومانية العمومية بانتشار الوباء نتيجة لضخامتها أولاً، واحتشاد مئات الناس فيها في آنٍ واحد ثانياً[2]، ونتيجة للنصيحة الطبيّة اليونانية التي كانت تُوصي بالاستحمام للتخلّص من السموم والأمراض ثالثاً[3].

ج- التحركات العسكرية:

شكّلت حركة أفراد الجيش الروماني عنصراً أساسيّاً في الانتشار المُبكّر للمرض، خاصّة أنّ أول ظهور للمرض كان بين أفراد الجيش الروماني الذي كان يحارب على الجبهة الشرقية[4].

كما عانى الجنود الرومان، الذين اشتركوا في وجبات الطعام والسكن، خسائر كبيرة تزيد على ثلث تلك التي عانى من جيش الهان الصيني[5]. أضف إلى أنّ احتشاد القوات الرومانية التي كانت تحارب على جبهة الدانوب شمالاً، قد شغل دوراً كبيراً

---

[1] Castex. J; Architecture of Italy, Greenwood Press, London, 2008, pp 35- 38.

[2] تُقدّم حمامات الإمبراطور كركلا(Caracalla)(211- 217م) مثالاً رائعاً على ضخامة الحمامات الرومانية، فقد كانت تغطي تلك الحمامات حوالي خمسين فدان(أي حوالي 210 دونم)، ويمكن أن تستوعب ما لا يقل عن 1600 مستحم. انظر:

Castex. J; op, cit, pp4- 7.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحصون الرومانية المخصّصة للقوات المرابطة على الحدود الرومانية كانت تحتوي، هي الأخرى، على حمامات كمرفق ضروري للجنود. انظر:

Pollard, N., Soldiers, Cities, and Civilians in Roman Syria, Michigan University Press, 2000, p51.

[3] يتمحور الكتاب الرابع من الموسوعة الطبيّة للعالم اليوناني" كليسوس" حول دور الحمّام الساخن في التخلّص من الأمراض والسموم والصداع، وضرورة تعريض المريض لمثل هذا الحمام. انظر:

Celsus, On Medicines, IV, 2- 28.

[4] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص279.

[5] McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, Pen & Sword Military, Great Britain, South Yorkshire, 2010, p210.

في زيادة انتشار المرض ليصل إلى حاشية الإمبراطور ماركوس أوريليوس الذي كان متواجداً هناك حينها[1].

رابعاً: انتشار الوباء عبر الإمبراطورية:

في بداية العام 166م تحوّل المرض إلى وباء ضرب المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة في بلاد ما بين النهرين كمدينة سلوقية، وحملت القوات الرومانية العائدة من الجبهة الشرقيّة، المرض إلى المدن الرومانية الرئيسة ومن بينها العاصمة روما[2]. وتورد مجموعة الهيستوريا أوغسطا بهذا الخصوص: " كان قدر الإمبراطور لوكيوس فيروس أنْ ينشر المرض، وأنْ يتبعه إلى أي ولاية ينتقل إليها في طريق عودته، حتّى وصل في النهاية إلى روما" [3].

ويذكر المُؤرّخ ديو كاسيوس أنّ الإمبراطور المشارك لوكيوس فيروس اضطرّ نتيجة لهذا الوضع الوبائي لإيقاف حملته على الإمبراطورية البارثية، وأنْ يعطي الأوامر لما تبقى من قواته للانسحاب إلى معسكراتها، ومواقع الحاميات الرومانية في ولاية سورية والولايات الحدودية الأخرى[4].

إلا أنّ هذا الانسحاب كان بعد فوات الأوان، حيث كان الوباء قد انتشر بين الجنود الرومان، ولم يعد هناك أمل لاحتوائه.

وصل الوباء إلى ولاية أسية الصغرى[5]، ويذكر الخطيب إيليوس أريستيديس(Aelius Aristides) كيف أُصيب بالمرض في المراحل المُبكّرة للتفشّي

---

[1] Historia Augusta, Marcus Aurelius, XXVIII, 4.

[2] كلّاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1995م، ص222. فرح، أبو اليسر: الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الانسانيّة والاجتماعيّة، الهرم ، 2002م، ص367.

[3] Historia Augusta, Verus, VIII, 8.

[4] Dio Cassius; Roman History, LXXXI, 2.

[5] Sabbatani. S , Sirio Fiorino; op, cit, p263.

عندما كان يعيش في مدينة سميرنة(Smyrna)(أزمير)، فيقول: " كنتُ في الضواحي في ذروة الصيف عندما أصاب المرض كلّ جيراني تقريباً. كنت آخر من أُصيب بالمرض. لقد أصاب المرض الجميع حتى المواشي. لقد تعافيت ببطء وبصعوبة، لكنّ الحمّى لم تفارقني بشكل كامل" [1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ أريستيديس ظلّ يعاني من بعض آثار المرض وخاصّة الاضطرابات المعوية[2]. ومع منتصف العام 166م وصل المرض إلى العاصمة روما[3]، فانتشر فيها كانتشار النار في الهشيم، وتحفظ مجموعة الهيستوريا أوغسطا بعض المعلومات عن الحالة المرعبة في روما عشيّة الوباء، فتُورد: " كانت الجُثث تُنقل بالعربات بسبب العدد الذي لم يسبق له مثيل من الوفيّات. لم يكن يوجد علاج للمرض، والعديد من الأفراد من طبقة النبلاء ماتوا خلال الوباء" [4].

ووصف جالينوس الوضع الوبائي في روما في العام 168م، فكتب: "حين وصلت أكويلية (Aquileia)[5] كانت العدوى تنتشر بقوّة. وعلى الفور عاد الأباطرة إلى روما مع عدد قليل من الجنود بينما كافح البقيّة للبقاء على قيد الحياة، ولكنّ معظمهم فقدَ حياته" [6].

وأكّدت الأبحاث الأثرية أنّ الوباء وصل ولاية بريطانية غرباً، حيث كشف علماء الآثار الذين نقّبوا في بلدة جلوكيستير(Gloucester) بين عامي 2004 و

---

[1] Aelius Aristides; Orationes, XLVIII, 38–45

[2] Jackson. R; op, cit, pp 157, 164.

[3] Jackson. R; op, cit, p173.

[4] Historia Augusta; Lucius Verus, VIII, 1- 4. ; Historia Augusta, Marcus Aurelius, XIII, 3- 5.

[5] أكويلية: مدينة رومانيّة قرب البحر الأدرياتيكي، كانت إحدى المدن الأكثر ازدهارا في العصر الإمبراطوري . كانت مركزاً لقيادة حملة الإمبراطور ماركوس أوريليوس على حدود الدانوب، ومقرّاً لتجمّع القوات الرومانية. دخل أتيلّا(Attila)، ملك الهون (Hun)، المدينة في العام 452م وأحرقها، وقتل عدد كبير من سكّانها . للمزيد: انظر:

Bunson. M; op, cit, p30.

[6] Galen; Opera Omnia, XIX, 17- 18.

2006م[1]، عن حفرة كبيرة تعود إلى فترة انتشار الوباء، تضمّ رفات ما يزيد على(91) شخص بين رجال ونساء وأطفال. ولاحظ علماء الآثار أنّه جرى وضع هؤلاء الأشخاص بطريقة عشوائية، وأنّهم لم يتعرضوا إلى أيّ عنف قاتل، مما يدلّ على أنّهم قد ماتوا نتيجة لوباء أنطوني[2].

وعلى اعتبار أنّ عدد سكان هذه البلدة البريطانية كان يبلغ حوالي عشرة آلاف نسمة، لذلك فإنّ هذه الحفرة كانت تحتوي على جثامين أشخاص ماتوا لعدّة أيام متتالية[3].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ سكان روما نظروا إلى الوباء على أنّه شكل من أشكال القصاص الإلهي، لذلك أخذوا بالتوسّل للآلهة لرفع الوباء[4]. وانتشر في روما عدد من المشعوذين الذين ادّعوا مقدرتهم على رفع الوباء، عُرف منهم شخص يُدعى الإسكندر، وأخذ هؤلاء يبيعون الناس التعاويذ والتمائم ليضعوها على مداخل منازلهم لطرد المرض، واحتوت تلك التمائم على كتابات وقائيّة لتحصين الشخص ضدّ المرض، مثل: " فويبوس(Phoibos)[5] طويل الشعر يطارد حشود الأوبئة"[6].

ومن البديهي القول أنّ تلك التعويذات لمْ تنفع بشيء سوى زيادة أموال الإسكندر، في حين بقي الوباء يتفشّى بين الناس الذين دفعوا أموالهم للإسكندر وأمثاله.

---

[1] Mitrofan. D; The Antonine Plague In Dacia And Moesia Inferior, Journal of Ancient History and Archeology, No. 1- 2, 2014, p10.

[2] Munoz-Sanz. A; op, cit, p355.

[3] McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, op, cit, p211.

[4] كلّاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، ص 223. جيبون، إدوارد: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة،ج1، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص110.

[5] فويبوس: هو أحّد الأسماء التي عُرف بها الإله أبولون في العصر الروماني. ومن الطبيعي أنْ يلجأ إليه إليه الناس في دعائهم، والمشعوذون في تمائمهم بحكم وظيفته في الميثولوجيا اليونانية- الرومانية. انظر: Chabrečková. B; op, cit, p6.

[6] Maire. B; Greek and Roman in Latin Medical Texts: Studies in Cultural Change and Exchange in Ancient Medicine, Leiden: Brill, 2014, p 235.

استمرّ الوباء في عهد الإمبراطور كومودوس، ولكنّ الإشارات التاريخية إليه تندر بشكل كبير، خاصّة أنّ عهد هذا الإمبراطور كان عبارة عن كابوس من المؤامرات والدسائس التي حاقت بالقصر الإمبراطوري[1]. ويذكر المؤرّخ ديو كاسيوس أنّ روما شهدت في عهد الإمبراطور كومودوس وباءً من أخبث الأوبئة التي سمع بها[2]. كما يصف المؤرخ هيروديان الأنطاكي الوضع الوبائي في روما في عهد الإمبراطور كومودوس، وخوف الأخير من المرض، فيُورد بهذا الخصوص: " في هذا الوقت تقريباً ضرب الطاعون كل إيطاليا. كانت المعاناة شديدة بشكل خاص في روما، حيث كانت المدينة، التي استقبلت الناس من جميع أنحاء العالم، مكتظة. بعد ذلك، بناءً على نصيحة أطبائه، غادر الإمبراطور كومودوس روما متجهاً إلى لاورينتوم(Laurentum)[3]. تمتعت هذه المنطقة بطبيعة جميلة لغناها ببساتين الغار الواسعة[4]. ومع ذلك، استمر الوباء بالازدياد، دون رادع، لفترة طويلة" [5].

خامساً: تشخيص الطبيب كلاوديوس جالينوس لوباء أنطوني:

قرن بعض المؤرخين اسم جالينوس بالوباء الذي ضرب روما في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس، فغدا يُعرف باسم" وباء جالينوس"[6]. كما سجّل جالينوس معظم معظم المعلومات المتوفّرة عن وباء أنطوني[7]، لذلك يبدو من الضروري التعريف بشخصيّة هذا الطبيب، وماذا ترك للمؤرخين من وصف للمرض.

---

[1] كاسيوس، ديون: التاريخ الروماني، ص 42.

Orosius; Histories against the Pagans, VII, 16, 1-4.

[2] Dio Cassius; Roman History, LXXII, 14, 4.

[3] لاورينتوم: مدينة قديمة في سهل اللاتيوم، تقع بالقرب من ساحل البحر بين أوستيا ولافينيوم على الساحل الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية، وتبعد عن روما حوالي 25 كم. اعتبرها الكُتّاب الرومان العاصمة الأصلية للاتيوم. انظر:

Livy; History of Rome, I, 1. ; Appian; Roman History, I, 1.

[4] اسم منطقة لاورينتوم نفسه مُشتق من الكلمة اللاتينية(laurus) وتعني الغار. انظر: ديون، كاسيوس: المصدر السابق، ص52، 53، حاشية رقم(5).

[5] Herodian; History of the Roman Empire, I, 12, 1-2.

[6] Littman. R; op, cit, p244.

[7] Munoz-Sanz. A; op, cit, p554.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ تشخيص جالينوس للمرض كان بصفته طبيب وليس كمُؤرّخ، لذلك فإنّ تشخيصه كان علميّاً بحتاً، ولم يُبدِ، إلّا في حالات قليلة، اهتماماً بالأحداث التاريخية المرافقة للمرض.

1- نبذة تاريخية عن الطبيب جالينوس و مكانته في العصر الروماني.

يُعدّ جالينوس أعظم طبيب في العصر الرومانيّ، وشكّل مع الطبيب اليوناني أبقراط(Hippocrates) (460- 370 ق.م)([1]) قطبي المعارف الطبيّة في العالم القديم. ومكّنه عمله كطبيب خاصّ للإمبراطور ماركوس أوريليوس وخلفه الإمبراطور كومودوس من التقرّب من دائرة الحكم في روما.

تمتّع جالينوس بعلم ومعارف كبيرة جعلته يتفوّق على جميع أقرانه في عصره وفي عصور لاحقة، فحمل لقب "أبقراط الطبّ الرومانيّ"[(2)]. وبفضل أعماله ومنجزاته الطبّية، فإن الطبّ اليونانيّ- الرومانيّ قد قاد مضمار الطبّ الأوربيّ لما يزيد عن ألف وخمسمائة عام لاحقة.

وُلد جالينوس في شهر أيلول من العام 129م في مدينة برجاموم اليونانية[(3)]، وتأثر وتأثر بفلسفة أرسطو(Aristotle)(384- 322 ق.م) على وجه الخصوص[(1)]. وبدأ

---

[1] أبقراط: أشهر طبيب في العصر اليوناني، وربّما أشهر طبيب في العصور القديمة بكاملها. حمل لقب" أبي الطب"، واستحقّ هذا اللقب عن جدارة. فقد كان له الفضل في انتقال الطبّ اليونانيّ من مرحلة الطبّ الفلسفيّ الديني الذي يربط كلّ أسباب الأمراض بالآلهة وشفاءها بأسكلبيوس، إلى مرحلة الطبّ التجريبيّ الذي يأخذ بأسباب المرض وأعراضه ومن ثمّ وصف الدواء لعلاجه. وُلد أبقراط في جزيرة كوس اليونانيّة في حوالي العام 460 ق.م، وتُوفّي في مدينة لاريسا(يكي شهر) حوالي العام 370 ق.م. وصف أبقراط بعض الأمراض وصفاً دقيقاً مثل السلّ والصرع. وفي وصفه المشهور" الطلعة الأبقراطية(Facies Hippocratic)" أشار بدقّة إلى العلامات التي تُنذر بالموت القريب، وقد وصف بدقّة 42 حالة مَرَضيّة، منها 25 حالة مصيرها الموت. ومن أنبل مميّزات أبقراط كان سمو أخلاقه في مهنته كطبيب وإسباغه عليها صفة المهنة الإنسانيّة المُترفّعة عن الماديّات. فوضع القسم المشهور بعهد أبقراط (The Oath of Hippocrates)، والذي ظلّ رمزاً للأخلاق الطبّية الراقية، وارتفاعها عن الطب عن الشبهات التجاريّة. انظر: شحاته، قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، أوراق شرقيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م، ص87. ؛

Yankell. J; Roman Doctors From Charlatans To Wonder-Workers, Brandeis University, 2014, p16.; Nutton. V; op, cit, p 225.

[2] Yankell. J; op, cit, p20.

[3] المعلوف، عيسى إسكندر: تاريخ الطبّ عن الأمم القديمة و الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2014م، ص 31.

وبدأ بدراسة الطبّ في سنّ السادسة عشرة، ثم تابع دراسته في مكتبة الإسكندرية التي كانت تضم أعظم مركز للدراسات الطبيّة آنذاك[2]. وفي العام 157م عاد إلى برجاموم[3]، وبقي فيها حتى العام 162م عندما غادرها متوجّهاً إلى العاصمة روما[4].

ذاع صيته في روما بشكل كبير، لذلك طلبه الإمبراطور ماركوس أوريليوس ليكون طبيباً خاصّاً بالقصر الإمبراطوري[5]. وفي العام 166م غادر روما، بشكل مفاجئ، نحو مسقط رأسه في برجاموم[6].

وبالرغم من عدم معرفة السبب الحقيقيّ الذي دفعه إلى مغادرة روما وهو في ذروة شهرته وعلاقاته، إلا أنّه قد يكون للوباء الذي ضرب روما في تلك الفترة دوراً أساسيّاً في ذلك[7].

لم تَطُل فترة مكوث جالينوس في برجاموم، إذْ اضطر للعودة إلى أكويلية في أواخر العام 168م بناء على طلب من الإمبراطورين المُشاركين ماركوس أوريليوس

Evans. R; A History of Pergamum Beyond Hellenistic Kingship, Continuum International Publishing Group, London: New York, 2012, p93.

[1] Jackson. R; op, cit, p60.

[2] صادق، سمير حنّا: نشأة العلم في مكتبة الإسكندريّة، دار العين للنشر، الإسكندريّة، 2003م، ص 90.

[3] The Cambridge Companion to Galen, Cambridge University Press, Cambridge, 2008, p4.

[4] Nutton. V; Ancient Medicine, Routledge, New York, 2004, p109.

[5] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص 295.

[6] Besser. M; Galen and the Origins of Experimental Neurosurgery, Austin Journal of Surgery, 2014, No. 1(2), p 2.

[7] يرى الأستاذ رالف جاكسون" في كتابه الشهير" الأطباء والأمراض في الإمبراطورية الرومانية" أنّ جالينوس غادر روما هرباً من وباء أنطوني. انظر: Jackson. R; op, cit, p61.

ولكنّ هذا الكلام غير دقيق لعدّة أسباب أهمّها أنّ أخلاق جالينوس وشخصيته، التي تبدو في كتاباته، تمنعه من الهرب من الوباء وترك الناس يعانون من آثاره. كما أنّ التدقيق في المنحى الجغرافي للوباء يُثبت أنّ جالينوس كان يدخل المناطق الموبوءة ولم يكن يهرب منها. ذلك أنّ مدينته برجاموم تقع في أسية الصغرى أيّ في الشرق، وبالتالي فإنّ الوباء كان قد انتشر فيها قبل روما. بناءً على ذلك فإنّ الربط بين مغادرة جالينوس لروما والوباء صحيحة نوعاً ما، ولكنّ ذلك الربط يُحسب لجالينوس وتاريخه ولا يجوز إدراجه من باب مهاجمة جالينوس وتشويه سمعته.

ولوكيوس فيروس، بهدف جعله ضمن الأطبّاء العسكريين المُشاركين في الحملة الرومانيّة على جرمانيا[1].

عاد جالينوس إلى العاصمة روما في العام 169م، بعد كلّفه الإمبراطور ماركوس أوريليوس، بالاعتناء بالوريث الإمبراطوريّ كومودوس أثناء غيابه في الحملة على حدود الدانوب[2]. وهي مهمّة نجح فيها جالينوس نجاحاً منقطع النظير[3]. بعد هذه النقطة من حياة جالينوس تقلّ التفاصيل المُتعلّقة بحياته. ولكنّ المُؤكّد منها أنّه قد واصل الكتابة والنشر، وأنّه عاش بقيّة حيّاته في روما التي تُوفّي فيها بحدود العام 201/200م[4].

ألّف جالينوس عدداً كبيراً من الكُتب الشاملة لجميع أقسام الطبّ في زمانه[5]، وكان وكان إعجابه بأبقراط عظيماً جدّاً ففسّر أهمّ كُتبه. واقتفى آثاره فأبدى اهتماما كبيراً بالطبّ التجريبيّ المُستند قبل كلّ شيء على الوقائع الملموسة[6]. غير أنّ إعجابه وحبّه الكبيرين لأرسطو وأفلاطون(Plato)(429– 347 ق.م) جعلا من ثقافته

---

[1] Wright. J; op, cit, p17.; Nutton. V; op, cit, p 225. ; Birley. A; op, cit, p 159.

[2] Galen; My Own Books, L, 19.

[3] Birley. A; op, cit, p162.

[4] Nutton. V; op, cit, pp225, 226.

[5] أهمّ أعمال جالينوس هي الكُتب التالية:

أ- في حركة العضلات(On the Movement of the Muscles)

ب- في طريقة الشفاء(On The method of healing): كتاب وُجّه بالدرجة الأولى ليكون على شكل كتاب دراسيّ للأطباء.

ج- في الكلّيات الطبيعيّة(On the Natural Faculties).

د- في التشريح الكبير(On Anatomical Procedure): من أهمّ كُتب جالينوس، وقد بقي المرجع الطبّي الأساسيّ في التشريح حتّى القرن الثامن عشر الميلاديّ تقريباً.

ه- في الفحوص(On Examinations): يُقدّم فيه جالينوس صورة للطبيب المثاليّ بحسب ما ينبغي أنْ يكون، والطريقة التي يستطيع بها المواطن الرومانيّ تصنيف الأطبّاء وتمييز الطبيب الناجح من الطبيب الفاشل.

ز- كتاب النبض الصغير للمُبتدئين(On Pulses for Beginner): كتبه جالينوس ليكون مُقدّمة للطلاب المُبتدئين في مهنة الطبّ. للمزيد عن أعمال جالينوس، انظر:

Galen; On Examinations, Trans; Albert Z. Iskandar, Akademie-Verlage, Berlin, 1988, p31. ; Jackson. R; op, cit, p160, 161. ; Besser. M; op, cit, p 2.

[6] شحاته، قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، أوراق شرقيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م، ص122.

الفلسفية تتغلب عليه أحياناً، فتخلّل كتاباته الطبّية أفكار أرسطوطاليّة وأفلاطونيّة. وإذا جاز القول أنّ أبقراط كان أوّل من فصل الفلسفة عن الطبّ، فإنّه يُمكن القول أنّ جالينوس قد وحّد بينهما أكثر[1].

تعود أغلب أعمال جالينوس ومؤلّفاته إلى فترة عودته الثانية إلى روما أيّ بين عاميّ 168- 200م. وقد بلغ عدد مؤلّفاته حوالي 400 مؤلّف، بقي منها 83 كتابا، و15 تفسير لكُتب أبقراط اليونانيّ[2].

2- أعراض الوباء بحسب تشخيص جالينوس:

على الرغم من أن وصف جالينوس لأعراض الوباء الأنطوني لم يكن واضحاً، فإنّ المعلومات التي قدّمها تُساعد على تكوين تشخيص عن طبيعة ذلك المرض. مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ عدم ذِكر جالينوس لأعراض محددة لا يعني عدم وجودها بالأصل. وفيما يلي تشخيص لأعراض المرض كما جاءت في كتابات جالينوس:

أ- الطفح الجلدي:

√ في اليوم التاسع من المرض غطّى الطفح الجلدي جسد المريض بالكامل[3]. وكانت هذه حالة جميع الأشخاص الذي تمكّنوا من التعافي من المرض.

√ العلاج الوحيد كان وضع المراهم التي تساعد على تجفيف الطفح الجلدي.

√ في اليوم الثاني عشر من الإصابة تمكن المريض من النهوض من السرير.

√ الأشخاص الذين بقوا على قيد الحياة، وكانوا يعانون من الإسهال ظهر عليهم طفح جلدي أسود غطّى أجسادهم بالكامل.

√ كانت الطفوح الجلدية مُتقرّحة في بعض الحالات وجافّة في حالات أخرى.

[1] Besser. M; op, cit, p 1.
[2] Jackson. R; op, cit, p61.
[3] Munoz-Sanz. A; op, cit, p554.

√ كان اللون الأسود في الطفح الجلدي يعود إلى بقايا الدمّ المُتجمّع في البثور المُرافقة للحمّى، وكان تلك البقع السوداء أشبه بالبقع التي يتركها الرماد على الجلد[1].

√ عندما بدأ المريض بالتعافي سقط القسم الخارجي من تلك الطفوح المُسمّى" قشرة"، وبقي القسم الداخلي الذي تحوّل بعد بضعة أيّام إلى ندوب عميقة.

ب- الحُمّى:

يقول جالينوس:

√ المرضى لا يبدون دافئين ولا يُحرقون الذين يلمسونهم، ولكنّهم مستعرون بالحمى في الداخل.

√ يبدو هذا الوباء وكأنه وباء الحُمّى[2].

ج- الأحشاء.

يقول جالينوس واصفاً الأعراض الداخليّة للمرض:

√ كان البراز الأسود مرافقاً لهؤلاء الذين أصابهم المرض، سواء نجوا أو ماتوا بسببه[3].

√ كان لدى المريض إسهال حادّ، والإفرازات كانت أولًا بلون كستنائي، ثم أحمر مُصفر، ثم أسود، وكأنها براز مُختلط بالدماء.

√ كان الإسهال أحدّ الأعراض التي لا تنفصل عن المرض.

√ ظهر لدى كثير من الذين نجوا، براز أسود ، معظمه في اليوم التاسع أو حتى اليوم السابع أو الحادي عشر.

[1] Galen; Method of Medicine, V, 12.

[2] Raoult. D; Paleomicrobiology: Past Human Infections, Springer Science & Business Media, Berlin 2008, p11.

[3] Munoz-Sanz. A; op, cit, p554.

√ حدثت اختلافات كثيرة، كان لدى البعض براز مائل للون الأسود، والبعض لم يكن لديهم آلام في إفرازاتهم، ولم يكن لإفرازاتهم رائحة كريهة، في حين وقف الكثيرين في المنتصف.

√ كل الذين أخرجوا براز شديد السواد، ماتوا[1].

د- التقيؤ:

√ حدث في بعض الحالات[2].

هـ- اضطراب المعدة:

√ حدث في جميع الحالات[3].

و- رائحة نفس كريهة:

√ حدثت في جميع الحالات[4].

ز- السعال:

√ في اليوم التاسع أُصيب المريض بسعال خفيف. وفي اليوم العاشر اشتدّت نوبات السعال الذي بدأ يختلط بالدماء[5].

ح- العطش:

√ حدث في جميع الحالات.

هذا هو التشخيص الذي ذكره جالينوس للمرض. والحقيقة، أنّ هذا التشخيص يجعل المرض متطابقاً لحدّ كبير مع مرض الجدري، إذْ أكّد جالينوس على نقطة الطفح الجلدي الذي غطّى الجسم بالكامل، كما ذكر أنّ الطفح الذي سقط بعد بضعة أيّام

---

[1] Littman. R; op, cit, p247.

كانت المعلومات بخصوص لون براز المريض مهمة جداً خاصة بالنسبة لأقرباء المريض أو القائمين على رعايته، إذْ كلما اشتدّ تحول البراز للون الأسود، فهذا دليل على قرب وفاة المريض وبالتالي ضرورة تجهيز مراسم دفنه. انظر:

Wright. J; op, cit, p19.

[2] Galen; Method of Medicine, V, 12.

[3] Galen; Method of Medicine, V, 12.

[4] Sabbatani. S , Sirio Fiorino; op, cit, p266.

[5] Galen; Method of Medicine, V, 12.

ترك ندوب عميقة. أمّا البراز الأسود الذي ذكره جالينوس، فهو يُشير إلى حدوث نزيف هضميّ تتسبّب فيه القروح المعويّة، وهذا كلّه يتوافق مع تشخيص العلم الحديث لمرض الجدري[1].

بناءً على ذلك، يمكن القول أنّ الوباء الذي انتشر في الإمبراطورية الرومانية كان مرض الجدري الذي يُصيب الإنسان والحيوان، و لكنّ وكما ذُكر في بداية هذا البحث، فإنّ المصادر التاريخية كانت تجهل طبيعة الوباء، وعمّمت مصطلح" الطاعون" على جميع الأمراض الوبائية التي عاصرها المُؤلّفون من العصرين اليوناني والروماني.

سادساً: تأثيرات وباء أنطوني على مجمل الإمبراطورية الرومانية.

ترك وباء أنطوني أثاراً سلبية بعيدة المدى على الإمبراطورية الرومانية، وشملت تلك التأثيرات النواحي الديموغرافية، والاقتصادية، كما ترك الوباء آثاراً سيئةً على الجيش الروماني وجهوده في حماية حدود الإمبراطورية ولاسيما الحدود الشمالية. بناءً عليه لا غرابةَ أنْ يُصنّف هذا وباء كأحد عوامل اضمحلال الإمبراطورية الرومانية.

1- تأثيراته الديموغرافية.

أثّر وباء أنطوني على القدرة البشرية في الإمبراطورية الرومانيّة التي عانت نتيجة عدد الوفيات الكبير[2]. فذكرت مجموعة الهيستوريا أوغسطا أنّ " آلاف المدنيين والجنود استسلموا لمرض رهيب" [3]. كما أشار المؤرخ هيروديان الأنطاكي إلى أنّ ذلك الوباء قد أضرّ بالإنسان و الحيوان على حدّ سواء[4]. أمّا باولوس أوروسيوس فيذهب إلى أبعد من ذلك فيذكر أنّ ذلك الوباء دمّر كُلّ إيطاليا[5].

[1] McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, op, cit, p210.
[2] McNeill. W. H; Plagues and Peoples, Anchor Press, New York, 1976, p116.
[3] Historia Augusta; Lucius Verus, VIII, 1- 4. ; XVII, 2.
[4] Herodian; History of the Roman Empire, I, 12, 1-2.
[5] Orosius; Histories against the Pagans, VII , 15, 5. ; VII, 27, 7.

وذكر المؤرّخ الرومانيّ ديو كاسيوس أنّه، في العام 189م، كان ألفا شخص يفقدون حياتهم كل يوم[1]. وهذه في الواقع نسبة مرتفعة جداً، فإذا أُجريت عملية حسابية بسيطة لعدد ضحايا الوباء خلال عام واحد فسيكون الناتج 7 مليون و 300 ألف شخص. و استناداً إلى العدد التقريبي لسكّان الإمبراطورية الرومانية في العام 166م والبالغ حوالي 70 أو 80 مليون نسمة[2]، فإنّ نسبة ضحايا الوباء ستكون ما يزيد قليلاً على 10 % من مجموع سكّان الإمبراطورية الرومانيّة[3].

وتُؤكّد ورقة بردي من مصر ما جاء في المصادر الأدبية، فتشير إلى أنّ قُرى بأكملها أُزيلت من السجلّات الضريبية نتيجة للمرض[4].

كما تُظهر السجلّات الضريبية المصرية للفترة بين(170– 180م) نسبة وفيّات مرتفعة في المجتمعات الريفية التي عانت من موجات تفشّي مُتكرّرة[5].

وتُقدّم فيلا واقعة في منطقة توسكانيا الإيطالية دليلاً أخراً على حجم الضرر الذي سبّبه الوباء، حيث أظهرت أعمال التنقيب التي تمّت في تلك الفيلا أنّ مساكن العبيد هُجرت في النصف الثاني من القرن الثاني الميلاديّ، ومن ثمّ هُجر البناء بأكمله بعد فترة زمنية قصيرة[6].

و في دليل أخر على حجم الخسائر البشرية في شمال الإمبراطورية الرومانية، فإنّ الأبحاث الأثرية قد كشفت النقاب عن لوحة البرونزية مُخصّصة لتسجيل أعضاء

---

[1] Dio Cassius; Roman History, LXXII, 14, 3- 4.

[2] لورو، باترك: الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2008م، ص59، 67.

[3] كلّاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، ص 221.

[4] Papyrus Thmouis, I , 104, 10- 18 (173 A. D).

[5] Boak. A. E.; Egypt and the plague of Marcus Aurelius, Historia 8, pp 248-250.
سجلّت إحدى السجلّات الضريبية من موقع(Socnopaiou Nesos= ديمية السباع، وهي منطقة أثرية في محافظة الفيوم المصرية) أنّه بين أيلول من العام 178م وشباط من العام 179م فقدت قرية مصرية، نتيجة للوباء، (78) رجلاً من مجموع رجالها البالغ عددهم(244) رجلاً. أيّ أنّ القرية فقدت ثلث السكان الذكور خلال فترة ستّة أشهر فقط. انظر:

Duncan-Jones. R; op, cit, pp120, 121.

[6] Duncan-Jones. R; op, cit, p 121.

معبد للديانة الميثراسية[1] في فيرونوم(Virunum)[2]، تُظهر أنّ المعبد فقدَ خمسة من أعضائه البالغ عددهم(98) عضواً خلال تفشّي جديد حصل في العام 183م[3].

وتمّ الإشارة في فقرة سابقة[4] إلى أنّ الأبحاث الأثرية قد كشفت عن نسبة وفيات مرتفعة في ولاية بريطانية الرومانية جرّاء الوباء.

وبالمحصلة يمكن القول أنّ السكان في جميع مناطق الإمبراطورية قد تعرّضوا لتأثيرات الوباء، وفقدت كل منطقة من مناطق الإمبراطورية نسبة كبيرة من سكانها.

2- تأثيراته الاقتصادية.

لم يمرّ وباء أنطوني دون أنْ يترك آثاره على الاقتصاد الروماني، وهذا شيء طبيعي، فالاقتصاد، دائماً وأبداً، يعكس حيوية الدولة وقوّتها وعافيتها. و شملت آثار الوباء النواحي الزراعية والتجارية والصناعية. و نظراً لأهميّة جميع هذه الجوانب لذلك سيتمّ معالجة كل منها على حدة.

أ- على الزراعة:

[1] الديانة الميثراسية: ديانة فارسيّة بالأصل ، إلّا أنّها انتشرت بين شرائح واسعة من المجتمع الروماني ولاسيّما الجنود العاملين في الشرق والتجّار في الفترة بين القرنين الأوّل قبل الميلاد و الرابع الميلاديّ. تمحوّرت حول عبادة الإله ميثرا الذي عبده أتباع الديانة الزرادشتيّة كإله للنور. وقف ميثرا في صفّ أهورا مزدا(Ahura-Mazda) في صراعه ضدّ إله الظلام أهريمان (Ahriman). قرنه أتباعه من الرومان بالشمس، فشكّلت الشمس محور عبادته. انظر:

Manouchehri. J; Sport and physical Education in Mithra (Mitra) Religion and their Relations with Roman-Persian Wars, Advances in Environmental Biology Journal , No. 8, Tehran, 2014, pp 422- 425. ; Tripolitis. A; Religions Of The Hellenistic-Roman Age, William B . Eerdmans Publishing Company, Cambridge, 2002, pp47- 58.

[2] فيرونوم: إحدى المدن الرئيسية في مقاطعة نوريكوم الرومانية. تقع في جنوب نوريكوم بالقرب من حدود بانونيا. كان موقعها مهماً على اعتبار أنّها تُشرف على الطريق الذي يربط حدود الدانوب بالمناطق الرئيسية في إيطاليا مثل أكويلية وبانونيا. انظر:

Bunson. M; op, cit, p586.

[3] Corpus Inscriptionum Latinarum, III, 5567.

[4] راجع الصفحة رقم(18) من هذا البحث.

أصاب الوباء الاقتصاد الروماني بحالة من الركود، وأدّى هروب الناس من المناطق التي ضربها الوباء إلى هلع بقية الناس، وإلى ضغط اقتصادي ترافق مع نقص كبير في المواد الغذائية في المناطق التي شهدت جذباً للوافدين الجدد[1]، ومع ارتفاع كبير في أسعاد المواد الغذائية[2]. كما هرب الناس من الأراضي الزراعية التي هدّدها الوباء نحو مناطق أكثر أمناً[3]، مما أدّى إلى ترك تلك الأراضي بوراً دون فلاحة أو زراعة[4].

وعانت الأراضي الزراعية في إيطاليا من خسائر مماثلة أثناء تفشّي الوباء. فيذكر باولوس أوروسيوس أنّ عدداً كبيراً من الحقول و المنازل الريفية قد تُركت بدون مزارعين أو سكان، وأنّ المرض أثّر على الإنتاج الزراعي في الإمبراطورية الرومانية لعدّة سنوات لاحقة[5].

2- على التجارة:

ترك الوباء آثاراً كبيرة على التجارة الرومانية، إذْ أصاب الموارد الرومانية وتمويلات الخزينة بحالة أقرب إلى الشلل[6]. وتراجعت الواردات المالية من الضرائب التي كانت تفرضها روما على التجارة الدولية التي أصيبت بخسائر كبيرة[7]. وتُقدّم مدينة مدينة تدمر شاهداً تاريخيّاً على تراجع التجارة الدولية، حيث عانت تجارتها جراء الوباء بدليل توقّف نقوش القوافل التدمرية[8] طوال الفترة بين عامي 166 و

[1] Scheidel. W; A model of demographic and economic change in Roman Egypt after the Antonine plague, Journal of Roman Archaeology No. 9, 2002, pp 14-97.

[2] Bagnal. R. S; The effects of plague: model and evidence, Journal of Roman Archaeology No. 25, 2002, pp 114- 120.

[3] Munoz-Sanz. A; op, cit, p553.

[4] Duncan-Jones. R; op, cit, pp120, 121.

[5] Orosius; Histories against the Pagans, VII , 15, 5. ; VII, 27, 7.

[6] Birley. A; op, cit, p 159.

[7] McNeill. W. H; op, cit, p116. ; Duncan-Jones. R; op, cit, pp120, 121.

[8] نقوش القوافل: نقوش أقامها المُشاركون في القوافل التدمريّة، وكُتبت تلك النقوش باللغتين باليونانيّة والآراميّة. وأُقيمت بهدف تخليد ذكرى الأفراد الذين ساعدوا القوافل بطريقة ما. وهي تُقدّم تفاصيل مُهمّة عن وجهة القافلة، واسم الشخص الذي أقيم النقش على شرفه. انظر: بن صراي، حمد محمد: الرومان

176م[1]. ومن المعروف أنّ تدمر كانت إحدى أهّم مصادر السلع القادمة من خارج الحدود الرومانية[2].

كما ترك الوباء آثاره على مدينة الإسكندرية المصرية التي عانت تجارتها جرّاء عدد الوفيات الكبير وتراجع النشاط التجاري مع الشرق[3]. والجدير بالذكر أنّ مدينة الإسكندرية كانت كمدينة تدمر نقطة التقاء للخطوط التجارية والتجار من شتّى بقاع العالم المعروف آنذاك[4].

يوجد دليل آخر على تأثّر التجارة الرومانية بوباء أنطوني، و لكن هذه المرّة من التجار التابعين لمدينة صور الفينيقية. ذلك أنّه في العام 174م كتبت الجالية التجارية الفينيقية المقيمة في ميناء بيوتولي(Puteoli)[5] في إيطالية رسالة[6] إلى المجلس الحاكم في مدينة صور، طلبت فيه معونة مالية مُستعجلة بهدف المحافظة

ومنطقة الخليج العربي 25ق.م- 235م، مجلة دراسات كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 29، العدد 1، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، 2001م، ص243.

[1] Sabbatani. S , Sirio Fiorino; op, cit, p269.

[2] Appian; Civil Wars, V, 9. ; Ball. W; Rome in the East: the Transformation of an Empire, London: Routledge, 2000, p74.

علي، جواد: المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م ، ص81.

[3] كلاوس، مانفريد: الإسكندريّة أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة: أشرف نادي أحمد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2009م، ص 200.

[4] أصدق تعبير عن أهمية مدينة الإسكندرية من الناحية التجارية أورده ديو خريستوم حين قال:" أنتم أيّها الإسكندريّون لديكم احتكار على تجارة كامل البحر المتوسّط، المياه الخارجيّة وراء البحر المُتوسّط ضمنت وصولكم إلى البحر الأحمر والمُحيط الهنديّ الذي سُمع اسمه نادراً في الأوقات الماضية".

Dio Chrysostom; Orations, XXXII, 36.

[5] ميناء بيوتولي: ميناء بوزّولي(Pozzuoli)الحاليّ. وهو أحّد الموانئ الرئيسيّة على ساحل كمبانيا غربيّ إيطالية، إذْ كان البوابة التجارية الرئيسيّة التي تستقبل التجارة من الإسكندريّة وإسبانية ومُعظم غربيّ البحر المتوسّط. انظر:

Suetonius; Augustus , XCVIII. ; Bunson. M; op, cit, p 461 .

[6] فيما يلي نصّ الرسالة:" إلى القادة المدنيين (archontes) والمجلس والشعب في وطنهم. من أولئك الذين استقروا في بيوتولي، تحيات: بفضل الآلهة وثروة سيدنا، الإمبراطور، إذا كان هناك أي محطات أخرى في بيوتولي، فإن محطتنا أفضل من غيرها من حيث الزينة والحجم. كما يعلم معظمكم، في الماضي، كان يتم الاهتمام بهذا الأمر من قبل الصوريين الذين استقروا في بيوتولي، وكانوا كثيرين وأثرياء. لكن الآن تضاءل عددنا بشكل كبير، وبما أننا ندفع نفقات التضحيات والخدمات لآلهة أجدادنا المنشأة هنا في المعابد، فليس لدينا الوسائل لتسديد الدفعة السنوية للمحطة البالغة 250 ديناري". انظر:

Orientis Graeci Inscriptiones Selectae, 595.

على محطتهم التجارية في ميناء بيوتولي التي كانت تعاني بسبب موت عدد كبير من التجّار[1].

ولجأت الحكومة الرومانيّة لمواجهة الأزمة الاقتصاديّة الخانقة، التي عصفت بالإمبراطوريّة والتي ترافقت مع انخفاض في حجم الاحتياطات الذهبيّة والفضّية في الخزينة الرومانيّة، إلى تخفيض نسبة المعادن الثمينة في العملة الفضّية[2]، مما أدّى إلى فقدان تلك العملة لقيمتها، فلم يعد لها قيمة أبعد من القيمة المحليّة، وهو ما سبّب تضخّماً كبيراً، وارتفاعاً حادّاً بأسعار السلع المُباعة في السوق الرومانيّة. ففقد التاجر الرومانيّ ثقته بالعملة، وفَقَد المواطن الرومانيّ قدرته على شراء أغلب السلع[3].

ويُظهر الدليل الأثري من ولاية مصر الرومانية هبوطاً كبيراً في كمية المعادن الثمينة المُتوفرة في دور السكّ، تلك المعادن التي كانت الدولة بحاجتها لسكّ العملات النقدية المتداولة. ففي العام 150م احتوت التتزادراخمة، المسكوكة في مدينة الإسكندرية، نسبة 18 % من الفضّة الصافية أيّ ما يعادل 2,3 غرام تقريباً، أمّا في العام 167م فبدأت دار سكّ العملة في الإسكندرية بسكّ فئة التتزادراخمة بنسبة فضّة تبلغ نصف المحتوى الفاضي الاعتيادي أيّ نسبة 9% فقط من فضّة[4].

كما أظهرت تحليلات نماذج نقدية من الفترة بين عامي 165 و 170م وجود كميات أكبر من الشوائب في المعدن المستخدم في سكّ العملة، مما يدلّ على

---

[1] Taco Terpstra. T; Trading Communities in the Roman World. A Micro-Economic and Institutional Perspective, Columbia Studies in the Classical Tradition, Leiden: Brill, 2013, pp70, 71.

[2] Harl. K; Coinage in the Roman Economy , Baltimore, 1996,pp 12- 88.

[3] Howgego. C; The Supply And Use Of Money In The Roman World 200 BC–AD 300, Journal of Roman Studies, No. 82, 1992, p 24.

[4] Howgego. C and Butcher. K; Coinage and the Roman Economy in the Antonine Antonine Period: the view
from Egypt, Online, 2013, pp13- 15.

تراجع في كمّيات المعادن الثمينة المُخصّصة لدار السكّ في الإسكندرية. ووصلت الأزمة الاقتصاديّة الناجمة عن وباء أنطوني إلى حدّ توقف دار سكّ العملة في الإسكندرية عن إصدار عملة التتراخمة نهائياً. وعندما أستُأنف إصدار تلك العملة في العام 185م، فإنّها كانت تحتوي ربع نسبة الفضّة التي كانت تحتويها قبل انتشار الوباء، أي وصلت لنسبة 4,5 % فقط[1].

3- على الصناعة:

ترك وباء أنطوني تأثيراته على الصناعة في الإمبراطورية الرومانية، حيث تقلّصت القوة العاملة إلى حدّ كبير نتيجة لحجم الوفيات الهائل، فضلاً عن أنّ الكثير من الذين تعافوا غدوا غير صالحين للعمل مرّة أخرى بسبب حالات العجز المُزمن الذي أثّر على وظائف الدماغ والنظر والأعصاب.

وأحّد أهمّ الجوانب الصناعية التي تأثّرت بالوباء كان التعدين والمناجم، فعانى عمال المناجم من الآثار الوبائية على اعتبار أنّ ظروف عملهم كانت تقتضي العمل والعيش في المعسكرات المغلقة التي ساهمت بانتشار الوباء بشكل سريع، لذلك فقد كان للوباء تأثير على ناتج عمليات التعدين.

ويُقدّم نقش آثري من منجم للتعدين في ولاية داكيا(Dacia)[2]، شاهداً تاريخياً على تراجع واردات المناجم، فيذكر هذا النقش، أنّه بحلول العام 167م توجّب على الصندوق المالي، المُخصّص لترتيب جنازات عمال المناجم، أنْ يتوقّف عن العمل، وأنّ (54) عاملاً من منطقة التعدين المعروفة باسم لابورنوم(Laburnum) دفعوا مبالغ منتظمة إلى الصندوق الجنائزيّ لإدارة مراسم دفنهم. ولكنّ خلال سنة من

[1] McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, op, cit, p214.

[2] ولاية داكيا: تعرَف أيضاً بداكيا ترايانا، أي داكيا التراجانية، أو داكيا فيلكس، أي داكيا السعيدة، أو الخصبة. هي ولاية رومانية أسّسها الإمبراطور تراجان عام 106م. تقع شمال نهر الدانوب ضمن ترانسلفانيا وشرقي هنغاريا الحالية. استعمرت السلطات الرومانية هذه الولاية استعماراً كبيراً ومنظمًا. فُتحت مناجم جديدة واشتدّت وتيرة التعدين، وازدهرت الزراعة وتربية الماشية والتجارة في المقاطعة. انظر:

Bunson. M; op, cit, pp 165- 167.

تفشّي وباء أنطوني، لم يبقَ في المنطقة المذكورة سوى سبعة عشر شخص. وهذا يعني أنّ ثلث القوّة العاملة في المنجم تقريباً قد استسلمت للمرض أو تَركت المنطقة خوفاً من الوباء. لذلك فقد اضطرت الجمعية الجنائزيّة للإغلاق بعد إقامة نقش يُخلّد عملها[1].

وعلى الجانب الآخر من الإمبراطورية، وتحديداً في ولاية بريطانية الرومانية، يبدو بوضوح آثار الوباء على الناتج الاقتصادي. إذْ بحلول العام 169م توقّفت النقوش المُؤرّخة من المناجم في بريطانية مما يدلّ على هجر تلك المناجم نتيجة وباء أنطوني[2].

كما شهدت مناجم إسبانية هي الأخرى تراجعاً حادّاً في الإنتاج، وأكّد علماء الآثار أنّ العمل في مناجم الفضّة جنوب غربي إسبانية قد توقّف بشكل شبه كامل بين عامي 166- 175م[3].

3- تأثيراته على الجيش الرومانيّ.

تكبّد الجيش الرومانيّ خسائر كبيرة خلال تفشّي الوباء الأنطوني[4]، ويُلخّص جيروم(Jerome) التأثير الإجمالي للوباء عندما أفاد بأنه " كان هناك مرض في جميع أنحاء العالم بحيث قارب الجيش الروماني على الانقراض"[5]. ويشترك أيوتروبيوس مع جيروم في توصيف تأثيرات الوباء فيُورد: "جميع القوّات في روما وإيطالية والولايات استسلمت للمرض"[6].

[1] MacKendrick. P; The Dacian Stones Speak, North Carolina University Press, 1975, pp206, 207.

[2] Duncan-Jones. R; op, cit, p 121.

[3] Jones. G; The Roman Mines at Riotinto, The Journal of Roman Studies, Volume 70 , November 1980, 1980, p 161

[4] Eutropius; Abridgment of Roman History, VIII, 12.

[5] Jerome; Chronicle, CLXXII.

[6] Eutropius; Abridgment of Roman History, VIII, 12.

كما هرب عدد من الجنود الرومان خوفاً من إصابتهم بالعدوى في ثكناتهم[1]. كل ذلك أدّى إلى تناقص في القدرة البشرية للجيش الروماني في وقت كانت فيه روما بحاجة إلى كل جندي من جنودها[2].

وزاد من صعوبة الموقف، الأوضاع العامّة التي كانت تعاني منها الحدود الرومانية على جبهة نهر الدانوب[3]، إذْ تعرّصت تلك الحدود لغزو من القبائل الألمانية في أواخر العام 166م وبداية العام 167م[4]، ولم يتمكّن الجيش الروماني، بقيادة ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس، من استعادة السيطرة على حدود الدانوب إلا في العام 168م. ولكنّ ذلك التقّدم الرومانيّ على الحدود الشمالية كان وبالاً على الإمبراطورية، حيث نقل الجنود الرومان العائدين إلى ثكناتهم المرض إلى وحدات جديدة[5]. كما زادت الحركة الجماعيّة للقوّات وللإمدادات الرومانيّة من فرص انتشار المرض ولاسيّما مع اقتراب فصل الشتاء وعودة القوّات إلى ثكناتها في مدينة أكويلية مركز قيادة الحملة[6].

وفي العام 170م هاجم تحالف جديد من القبائل الألمانية ولايات الدانوب، واجتاح بانونيا(Pannonia)، وتابع جنوباً حتّى بلغوا أكويلية[7]، الأمر الذي زاد مخاوف الرومان من أنْ يقوم الألمان بدخول إيطاليا[8].

وينعكس صدى صعوبة الوضع العسكري للقوات الرومانية في مجموعة الهيستوريا أوغسطا، فأوردت: " شكّلت الحرب الماركومانية[1] صراعاً فاق أي حرب في الذاكرة

[1] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص 307.

[2] Birley. A; op, cit, p 159.

[3] Orosius; Histories against the Pagans, VII, 15, 7- 8.

[4] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص281.

[5] Stephens. W; op, cit, p 40.

[6] Galen; Opera Omnia, XIX, 17- 18.

[7] رستوفتزف، ميخائيل: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة ومراجعة: زكي زكي علي ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1957، ص439.

[8] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XII, 13

الذاكرة البشرية. شن ماركوس أوريليوس هذه الحرب ببسالة ونجاح في وقت استسلم فيه آلاف المدنيين والجنود لمرض رهيب"[2].

سابعاً: الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الرومانيّة للتصدّي لآثار وباء أنطوني.

لم يقف الإمبراطور ماركوس أوريليوس مكتوفاً أمام هذا التفشّي الوبائي الذي ضرب روما، بل عمل على مواجهته بوسائل متعددة. ومن خلال دراسة المصادر التاريخية التي عالجت تلك الفترة، يبدو بوضوح أنّ الإمبراطور ماركوس أوريليوس قد قام بإجراءات عدّة منها، ما هو مُوجّه إلى المدنيين الرومان، ومنها ما كان مُوجّهاً لوقف النزيف الحاصل في الاقتصاد الروماني جراء الوباء، ومنها ما كان مُوجّهاً إلى الجيش الروماني وتحركاته العسكرية. وسيتمّ في هذه الفقرة دراسة تلك الإجراءات و تصنيفها على الشكل التالي:

1- إجراءات مُوجّهة إلى المدنيين الرومان:

اعتنق الإمبراطور ماركوس أوريليوس الفلسفة الرواقيّة[3]، والمبدأ الأساسيّ لهذه الفلسفة هو تحكيم العقل، واستخدامه لضبط النفس عن العواطف وخاصّة السلبيّة منها كالغضب والجشع، والقبول بحقائق الوجود التي لا تتغيّر كالموت مثلاً[4]. وقد انعكست عقلانية ماركوس أوريليوس في قسم من الإجراءات التي قام بها للسيطرة على انتشار الوباء، أمّا القسم الآخر، فإنّه لا يتفّق مع المنطق العقلاني الذي آمن به، بل يمكن تبريره برغبته بمسايرة الشعب الروماني الذي كان يؤمن، بمعظمه،

---

[1] الحرب الماركومانية: مُصطلح أطلق على الحروب التي خاضها الإمبراطور ماركوس أوريليوس ضدّ القبائل الألمانية. امتدّت تلك الحروب بين الأعوام 166 إلى 175 ومن 177 إلى 180 م. جاء تسميتها بالماركومانية من اسم قبيلة(ماركوماني) وهي القبيلة الأكبر التي كانت تُوجّه تلك الحرب. انظر:
Bunson. M; op, cit, pp348, 349.

[2] Historia Augusta; Lucius Verus, VIII, 1- 4. ; XVII, 2.

[3] Dio Cassius; Roman History, LXXI, 35. ; Historia Augusta; Marcus Aurelius, VI-VI. ; XVI, 5.
أنديشة، أحمد محمد محمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الأول، يونيو/ حزيران، 2014م، ص67. ;

[4] Wright. J; op, cit, p20.

بالآلهة والقوى الغيبية. وبحسب المصادر التاريخية، فإنّ تلك الإجراءات تضمّنت ما يلي:

أ- أصدر مجموعة من القوانين تهدف للحفاظ على مدينة روما، كبيئة صالحة للعيش كمدينة وليس كمقبرة كبيرة، منها على سبيل المثال، منع الناس من تحويل بيوتهم الريفية(الفيلا) إلى مقابر، أو دفن الموتى في مناطق قريبة من البيوت[1].

ب- أمر بدفن عامّة الناس من الذين ماتوا بالوباء على نفقة الحكومة الرومانيّة. هذا الإجراء قام به بسبب توّجه الناس إلى المعابد للتضرّع إلى الآلهة لتُشفيهم من المرض[2]، لذلك و لتفادي تفادي تجربة الطاعون الأثيني، حين تكدّست الجثث في المعابد[3]، فقد عمل الإمبراطور ماركوس أوريليوس على منع تجمّع الجثث في المعابد و الشوارع.

ج- أصدر قانوناً منع بموجبه نبش القبور القديمة، وإعادة الدفن فيها[4].

وحقيقيةً، فإنّه لو لم يكن هذا الأمر شائعاً لما كان الإمبراطور أصدر قانوناً بمنعه. وهذه الإجراءات والقوانين التي أصدرها الإمبراطور كانت ضرورية لأنّ مُتعهدي دفن الموتى كانوا يفرضون أسعاراً باهظة نظراً لحاجة الناس المتزايدة للقبور لدفن ذويهم[5].

د- منع ذوي الميّت من نقل جثّته من قرية لأخرى أو من بلدة لأخرى، وفرض الحصول على إذن من السلطة المختصة للقيام بذلك[6].

---

[1] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XIII, 4.

[2] اعتاد الناس في العصرين اليوناني والروماني على التوجّه إلى المعابد للتضرّع للآلهة وخاصّة إله الطبّ أسكلبيوس(Asclepius) ليُشفيهم من الأمراض المزمنة. وهذه العادة دفعت مهندس العمارة الروماني فيتروفيوس إلى كتابة فقرة في كتابه" فنّ العمارة" الذي أهداه إلى الإمبراطور أوغسطس(Augustus)(27 ق.م- 14م)، تتضمّن تأكيد على ضرورة أنْ يحتوي المعبد على مكان مُخصّص للمرضى الذين يُقيمون فيه لفترة طويلة بهدف الشفاء من الأمراض. انظر :

Vitruvius; De Architectura, I, II, 7.

[3] Wright. J; op, cit, p18.

[4] Stephens. W; op, cit, p 40.

[5] Wright. J; op, cit, pp 22.

[6] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XIII, 3- 6.

هـ- قدّم مساعدات مالية للأفراد[1]، كما قدّم مساعدات مالية للمدن التي أنهكها المرض[2].

و- عمل على تأمين إمداد سكان روما بالحبوب[3].

ز- عمل على التقليل من النفقات العامة قدر الإمكان، لذلك حدّ من عروض المصارعة العامّة[4]. ومن المحتمل أنّ الإمبراطور كان يهدف من هذا الإجراء إلى التقليل من التجمّعات.

ح- قام ماركوس أوريليوس باستدعاء الكهنة من جميع أنحاء الإمبراطورية لأداء الطقوس الدينية، والتضرّع للآلهة لرفع الوباء[5]. وهذا الإجراء قام به الإمبراطور بسبب خوف الناس من الأخبار التي قالت أنّ الإله أبولون قد غضب على الجنود الرومان في سلوقية دجلة، لذلك كان لابدّ من استرضاءه لرفع البلاء عن عموم الشعب الروماني[6].

هـ- أحّد الإجراءات التي قام بها ماركوس أوريليوس، والتي تُعتبر مناقضة لأفكاره و مبادئه التي كتبها في كتابه الشهير" التأملات(The Meditations)"[7]، كان

---

[1] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص285.

[2] رستوفتزف، ميخائيل: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ص 440.

[3] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XXI, 3, 5.

[4] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XXI, 4.

[5] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XIII, 1- 2. ; XXI, 6. ; Stephens. W; op, cit, p 40.

[6] Jackson. R; op, cit, p173.

[7] حمل الإمبراطور ماركوس أوريليوس لقب "الفيلسوف على العرش". وكان يستحقّ هذا اللقب بجدارة، فالقارئ لكتابه الشهير" التأملات" سيلاحظ فلسفة واقعية تقبل أساسيات الكون، وتنادي بالأخوة الإنسانية وسمو العقل. وفسّر ماركوس أوريليوس فلسفة الحياة بطريقة جميلة عندما قال: " قل لنفسك حين تقوم في الصباح :اليوم سألتقي من الناس من هو مُتطفّل، ومن هو جاحد، ومن هو عاتٍ وعنيف، وسأقابل الغادر والحسود، ومن يُؤثر نفسه على الناس. لقد ابتلى كل منهم بذلك من جراء جهلهم بما هو خير وما هو شرّ. أمّا أنا وقد علمت بطبيعة الخير وعرفت أنه جميل، وبطبيعة الشرّ وعرفته قبيحاً... وأدركت أنّ مرتكب الرذائل لا يختلف عني أدنى اختلاف في طبيعته ذاتها، فنحن ننتسب إلى نفس العقل وتفس القَبَس الإلهي. أمّا أنا وقد عرفت هذه القرابة، فلن يسوءَني أي واحد من هؤلاء ولن يعديني بإثمه. وليس لي أنْ أسخط عليه، فقد خُلقنا للتعاون، شأننا شأن القدمين واليدين والجفنين وصفّي الأسنان ". انظر:
أوريليوس، ماركوس: التأملات، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة وتصدير: أحمد عثمان، دار رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م، ص42.

اضطهاده أتباع الديانة المسيحية[1]، إذْ حمّل سكان روما هؤلاء المسيحيين مسؤولية الوباء على اعتبار أنّهم كانوا يزدرون الآلهة الرومانية فكانوا بالتالي سبباً لغضبها وتسليطها الوباء عليهم[2].

ومن المحتمل أنْ ماركوس أوريليوس لم يكن مقتنعاً بأفكار العامّة تلك، ولكنّه وجد نفسه مضطراً لمسايرتهم تفادياً لنقمتهم عليه، لذلك بدأ حملة اضطهاد بحقّ المسيحيين[3]. ويبدو أنّ حملة الاضطهاد تلك كانت عنيفة لدرجة دفعت جون فوكس(John Foxe) لتخصيص فصل كامل من كتابه " آثار الكنسية المسيحية" للحديث عن اضطهاد ماركوس أوريليوس للمسيحيين، واصفاً إياه بـ" الاضطهاد الرابع"[4].

2- إجراءات موجّهة إلى الاقتصاد الروماني:

على اعتبار أنّ الوباء أدّى إلى هجر مساحات كبيرة من الأراضي المزروعة، لذلك فقد عمل الإمبراطور ماركوس أوريليوس على الاستفادة من الجماعات الألمانية التي وطّنها داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، بما يُسهم في استعادة القوّة الإنتاجية الزراعية[5].

وبما أنّ الوباء قد أثّر سلباً على الاحتياطات النقدية في الإمبراطورية الرومانية، فإنّ الإمبراطور كان بحاجة إلى تعويض النقص الحاصل في الخزينة، وقد أثبت قدرة

Marcus Aurelius; The Meditations of Marcus Aurelius Antoninus, edited by A. S. L. Farquharson (Oxford: Oxford University Press: Oxford World's Classics, 2008, p 10.

[1] Orosius; Histories against the Pagans, VII ,15, 4. .; Stephens. W; op, cit, p 41.

[2] أنديشة، أحمد محمد محمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص 62- 64.

[3] Tertullian; Apology, V, 1- 5. ; Wright. J; op, cit, p21.

[4] الاضطهاد الأوّل كان في عهد الإمبراطور نيرون، الاضطهاد الثاني كان في عهد الإمبراطور دوميتيان(Domitian)(81- 96م)، الاضطهاد الثالث كان في عهد الإمبراطور تراجان (Trajan)(98-117م) ، أمّا الاضطهاد الرابع فكان في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس. انظر:
Foxe. J; The Acts And Monuments Of The Christian Church, Volume. 1, Ex-classics Project, 2009, pp62- 91. ; Evans. R; A op, cit, p93.

[5] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص285.

كبيرة في ذلك. وفي ضوء معرفته أنّ الشعب الروماني لم يكن يتحمّل فرض ضرائب جديدة نتيجة للأوضاع الصعبة التي كان يعاني منها بفعل الوباء والحرب الماركومانيّة[1]، لذلك لجأ الإمبراطور إلى خيار جديد وغريب، فقام بوضع يده على أحد الساحات الرئيسية في روما المعروفة باسم سوق تراجان، لمدة شهرين، وأقام المندوبون الإمبراطوريون أكشاكاً فيها، ونظموا مزادات عامة لبيع كامل مقتنيات القصر الإمبراطوري الأغلى ثمناً[2].

ويُورد المُؤرّخ أيوتروبيوس أنّ سلع المزاد شملت " كؤوس بلورية ومرمريّة، وفساتين حريرية مُطعّمة بالذهب، والعديد من الأحجار الكريمة، بما في ذلك قِطع من مجموعة جمعها الإمبراطور هادريان"[3].

وبالفعل، ساعد بيع هذه المقتنيات الإمبراطورية في الحصول على كميات كبيرة من الأموال ساهمت في تعويض النقص الحاصل في الخزينة الرومانية، ومكّنت الإمبراطور من خوض الحرب الماركومانيّة بما يتفق مع خططه.

3- إجراءات مُوجّهة إلى الجيش الروماني وتحركاته العسكرية:

كان على الإمبراطور ماركوس أوريليوس القيام بتحركات سريعة لتعويض النقص البشري الحاصل في الجيش الروماني، لذلك فقد قام بجملة من الإجراءات يُمكن تبيانها كما يلي:

أ- جنّد كل شخص قادر على حمل السلاح، من ضمنهم المصارعين[4].

ب- جنّد قطّاع الطرق، وقدّم لهم الأموال للانضمام إلى الجيش. وقُطّاع الطرق كانوا، بطبيعة الحال، خارجين عن القانون، لذلك لم يكن من السهل إخضاعهم للقوانين الصارمة للجيش الرومانيّ[5].

---

[1] رستوفتزف، ميخائيل: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ص 440.

[2] Historia Augusta, Marcus Aurelius, XXI, 9. ; XVII, 4- 5.

[3] Eutropius; Abridgment of Roman History, VIII, 12.

[4] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص281.

[5] Wright. J; op, cit, pp 22, 23.

ج- جنّد العُتقاء[1] تحت اسم "المتطوعين".

د- جنّد من أراد الانضمام إليه من أبناء القبائل الجرمانيّة نفسها[2]، ومنحهم أراضي داخل الإمبراطورية كمكافأة على خدماتهم العسكرية[3].

هـ- أصدر قوانين جديدة لتشجيع الناس على الانخراط في الجيش. فقام بإلغاء قانون سابق يُمنع بموجبه الجنود من الزواج أثناء الخدمة العسكرية. كما أصدر قانون سمح بموجبه للفرد المولود من زواج غير شرعي بالحصول على الجنسية الرومانية من خلال الخدمة بالجيش الرومانيّ. ويُؤكّد صحّة هذا القانون، نقش مصري يعود للعام 168م يكشف أنّ هذا الإجراء تمّ بهدف تشجيع هؤلاء على الانخراط في الجيش[4].

ويذكر المؤرّخ باولوس أوروسيوس أنّ الإمبراطور ماركوس أوريليوس كان بحاجة لثلاث سنوات لجمع قوات كافية لشن هجوم مضاد ناجح ضد الجرمان[5].

قضى ماركوس أوريليوس ما تبقى من عهده على الحدود للحفاظ على الإمبراطورية المهددة بالفناء، ولكنه مرِض خلال الحملة، ومات في العام 180م [6].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ الإمبراطور ماركوس أوريليوس رفض زيارة ولده كومودوس له، ربّما خوفاً من إصابته بالعدوى، وقام بإرساله بعيداً عن المعسكر

وللوقوف على النظام العسكري الصارم في الجيش الروماني، وقساوة التدريب، وتدرّج العقوبات فيه، راجع: العمر، بديع: الجيش الرومانيّ البرّي في الفترة الإمبراطوريّة31 ق.م- 284م، رسالة ماجستير بإشراف: عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، 2010م، ص 365- 401.

[1] العتقاء: هم عبيد الماضي، أيّ أنّ المُعتق كان في الأصل عبداً، ولكن جرى تحريره من العبوديّة، وبالرغم من عدم حصول المُعتق الرومانيّ على كامل حقوقه إلّا أنّ بعضهم حصل على منزلة كبيرة وأحرز أموالاً طائلة كما هو الحال مع الطبيب أنطونيوس موسى وأخيه. وللوقوف على الوضع الاجتماعي والقانوني للعتقاء الرومان. انظر: حمدان، عبد المجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأوّل قبل الميلاد، ص59.

[2] الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص281.

[3] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XXI, 6- 9.

[4] Inscriptiones Latinae Selectae, 2304.

[5] Orosius; Histories against the Pagans, VII .15, 6.

[6] أوريليوس، ماركوس: التأملات، ص22. ; الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ص284.

العسكري، لذلك غادر كومودوس إلى روما فوصلها في خريف العام 180م[1]. وكانت الكلمات الأخيرة التي قالها الإمبراطور ماركوس أوريليوس لأصدقائه وهو على فراش الموت، خير تعبير عن صعوبة الوضع الذي سبّبه وباء أنطوني، فقال: " لماذا تبكونني؟ بدلاً من ذلك، فكروا في الوباء والموت الذي يُهددنا جميعاً" [2].

خاتمة:

تناول هذا البحث بالدراسة أحّد أشهر الأوبئة التي تعرّضت لها الإمبراطورية الرومانية بين عامي 166- 189م، هو وباء أنطوني. ومن خلال دراسة هذا الوباء، وتأثيراته على مجمل الإمبراطورية الرومانية، وعدد من الجوانب الأخرى، فإنّ هذه الدراسة المتواضعة قد خَلُصت إلى جُملة من النتائج أهمّها:

1- لم يكن وباء أنطوني هو الوباء الأول الذي يضرب الإمبراطورية الرومانية، بل تعرّضت لسلسة من الأمراض التي وثقتها المصادر التاريخية.

2- حاز وباء أنطوني على شهرة كبيرة واهتمام واسع نتيجة تشخيصه ووصفه من قبل الطبيب جالينوس.

3- كان وباء أنطوني نوعاً من أنواع الجدري التي تصيب الإنسان والحيوان، ولم يكن الطاعون. ولكنّ المصادر التاريخية كانت تجهل تشخيص الجدري، وعمّمت مصطلح" الطاعون" على جميع الأمراض الوبائية آنذاك.

4- بدأ وباء أنطوني في الشرق الأقصى وفي الصين بالتحديد، لكنّه انتشر عبر خطوط التجارة الدولية حتّى وصل إلى بلاد مابين النهرين ومنها إلى سورية وباقي أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

5- لعبت خطوط التجارة العالمية وتطوّر تقنيات السفر، والنشاطات المغلقة في المجتمع الروماني دوراً كبيراً في انتشار الوباء.

[1] Dio Cassius; Roman History, LXXIV, 6.

[2] Historia Augusta; Marcus Aurelius, XXVIII, 4.

6- أدّى وباء أنطوني إلى خسائر كبيرة في الأرواح، وحصد آلاف الضحايا من البشر والحيوان. ولكنّ العدد الإجمالي للضحايا لايزال موضع خلاف.

7- ترتّب على وباء أنطوني خسائر كبيرة في الاقتصاد الرومانيّ، فتوقفّت التجارة الدولية مع الشرق، وانخفضت قيمة العملة، وتوقفت عدد من المناجم عن العمل.

8- لم يعرف الناس المصدر الحقيقي للوباء لذلك نسبوه إلى غضب إلهي حلّ بهم بسبب أتباع الديانة المسيحية. هذا الأمر دفع الناس إلى التضرّع للآلهة من جهة، ودعوة السلطات الرومانية إلى اضطهاد أتباع الديانة المسيحية من جهة أخرى.

9- كان الجيش الروماني المتأثر الأكبر بالوباء، فاحتشاد الجنود في ثكناتهم ضاعف من عدد الإصابات، كما أنّ عدد الوفيات الكبير استنزف القدرة البشرية في الجيش الروماني وضاعف من الصعاب التي كان يتعرّض لها جرّاء هجوم القبائل الألمانية على الحدود الشمالية للإمبراطورية الرومانية.

10- حاول الإمبراطور ماركوس أوريليوس التصدّي للوباء والتخفيف من آثاره، ففرض جملة من القوانين لتنظيم الدفن و التخفيف عن السكّان الرومان في معاناتهم جرّاء الوباء. وقد اختلفت تلك الإجراءات بين ماهو عقليّ وناجع، وبين ما كان متماشياً مع عقليّة الناس في تلك الفترة. تلك العقلية التي كانت تعزو جميع الكوارث إلى غضب الآلهة.

- قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر المُعرّبة:

1- أوريليوس، ماركوس: التأملات، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة وتصدير: أحمد عثمان، دار رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.

2- بلوتارك(فلوطرخوس): تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م.

3- كاسيوس، ديون: التاريخ الرومانيّ، الكتب من 71- 80، ترجمة: مصطفى غطيس، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، تطوان، المملكة المغربية، 2013م.

4- لوقيانوس السميساطي: أعمال لوقيانوس السميساطي المفكر السوري الساخر في القرن الثاني الميلادي، ترجمة: سعد صائب ومفيد عرنوق، دار المعرفة، دمشق، 1987م.

- المصادر الأجنبيّة:

1- سجلّات سلالة الهان الصينيّة(Hou Hanshu)، مع ترجمتها إلى اللغة الإنكليزيّة، وشروحها متوفّرة في:

Hou Hanshu; Edited by; Hirth. F; China and the Roman Orient: Researches into their Ancient and Mediaeval Relations as Represented in Old Chinese Records, Chicago: Ares, 1885, reprint: 1975.

2- Aelius Aristides.; Orations, Edited and translated by; Michael Trapp, Loeb Classical Library Cambridge : Harvard University Press, 2017.

3- Ammianus Marcellinus; Ammianus History(The Later Roman Empire) (AD 354-378). Translated by; Walter. W, Penguin,1986.

4- Appian; Roman History, Translated by Horace White, Cambridge: Harvard University Press, 1913.

5- Celsus: De Medicina, Translated by; W. G. Spencer, Loeb Classical Library, London and Cambridge, 1935.

6- Courtney. E; A Commentary on the Satires of Juvenal, London, 1980.

7- Dio Cassius; The Roman History, Translated by; Ian Scott-Kilvert, Penguin Ltd, London, 1987.

8- Dio Chrysostom; Orations, Translated by; Cohoon. J. W, Cambridge: Harvard University Press, 1961.

9- Eutropius; Abridgment of Roman History. http://www.forumromanum.org/literature/eutropius/index.html.

10- Galen; Method of Medicine, Edited and translated by; Ian Johnston, G. H. R. Horsley, Loeb Classical Library , Cambridge,: Harvard University Press, 2011.

11- Galen; On Examinations, Trans; Albert Z. Iskandar, Akademie-Verlage, Berlin, 1988.

12- Galen; On the mixtures and properties of simple drugs, on the natural faculties. Translated by Arthur John Brock. Cambridge: Harvard University Press, 1979.

13- Galen; Opera Omnia, Edited by Karl Gottlob Kühn, Cambridge University Press, 2011.

14- Herodian Of Antioch's; History Of The Roman Empire From The Death Of Marcus Aurelius To The Accession Of Gordian III, Translated by; Edward C. Echols, University Of California Press Berkeley & Los Angeles, 1960.

15- The Historia Augusta. http://penelope.uchicago.edu/Thayer/E/Roman/Texts/Historia_Augusta/, [Accessed 3rd May 2012- 31st March 2013].

16- Home; The Iliad, Translated by A. T. Murray, Cambridge: Harvard University Press, 1924.

17- Jerome; Chronicle, translated by; Donalson. M, New York, 1996.

18- Livy; History of Rome, Translated by; Foster. B. O, Harvard University Press, Cambridge, 1919.

19- Lucian; The works of Lucian, complete with exceptions specified in the preface, Translated by; Fowler. H. W. and Fowler, F. G, Clarendon Press Oxford, 1949.
20- Marcus Aurelius; The Meditations of Marcus Aurelius Antoninus, edited by A. S. L. Farquharson (Oxford: Oxford University Press: Oxford World's Classics, 2008.
21-Martial; Epigrams of Martial, Translated by; Sullivan. J. P and Whigham. P, Berkeley, University of California Press, 1987.
22 - Orosius; History, Edited by; Zangemelster. K, Teubner, 1887.
23- Ovid, Fasti, translated by; Kline. A. S.

http://www.poetryintranslation.com/PITBR/Latin/Fastihome.htm, [Accessed 3rd May 2012- 31st March 2013].
24- Pliny The Elder; The Natural History Of Pliny; Translated By; John Bostock and H. T. Riley. New York: G. Bell, 1890.
25- Strabo; The Geography, Translated by; Horace Leonard Jones, Loeb Classical Library, London and New York, 1930.
26 - Suetonius; Lives of the Caesars, Translated by; Catharine Edwards, Oxford: Oxford University Press, 2000.
27- Tacitus; Annales, Translated by; Sir Peterson. W., revised by; Winter bottom. M, Loeb Classical Library, Cambridge and London,1914.
28- Thucydides; History of the Peloponnesian War. Translated by Benjamin Jowett. Amherst: Prometheus Books, 1998.

- قائمة المراجع العربية:

1- أنديشة، أحمد محمد محمد: اضطهاد الأباطرة الرومان لأتباع الديانة المسيحية، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الأول، يونيو/ حزيران، 2014م.

2- جيبون، إدوارد: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.

3- حمدان، عبد المجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأوّل قبل الميلاد، مجلّة دراسات تاريخيّة، العددان 117- 118، كانون الثاني- حزيران، دمشق، 2012م.

4- رستوفتزف، ميخائيل: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة ومراجعة: زكي علي و محمد سليم سالم، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1957م.

5- سلامة، أمين: الأساطير اليونانية والرومانيّة، دار الفكر العربيّ، 1988م.

6- شحاته، قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، أوراق شرقيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م.

7- بن صراي، حمد محمد: الرومان ومنطقة الخليج العربي 25ق.م- 235م، مجلة دراسات كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 29، العدد 1، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، 2001م.

8- علي، جواد: المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م.

9- العمر، بديع: الجيش الرومانيّ البرّي في الفترة الإمبراطوريّة31 ق.م- 284م، رسالة ماجستير بإشراف: عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، 2010م.

10- فرح، أبو اليسر: الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الانسانيّة والاجتماعيّة، الهرم ، 2002م.

11- كلّاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1995م.

12- كلاوس، مانفريد: الإسكندريّة أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة: أشرف نادي أحمد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2009م.

13- لورو، باترك: الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2008م.

14- المعلوف، عيسى إسكندر: تاريخ الطبّ عن الأمم القديمة و الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2014م.

15- الموسوعة العربيّة المُيسّرة، ط3، المكتبة العصريّة، صيدا: بيروت، 2009م.

16- الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط 2، دار النهضة العربية، القاهرة،1991م.

17- يحيى، أسامة عدنان: السحر والطبّ في الحضارات القديمة، أشور بانيبال للكتاب، بغداد، 2016م.

- قائمة المراجع الأجنبية:

1- Avari. B; India: The Ancient Past A history of the Indian sub-continent from c. 7000 B. C to 1200 A. D, Rutledge, New York, 2009.

2- Ball. W; Rome in the East: the Transformation of an Empire, London: Routledge, 2000.

3- Bagnal. R. S; The effects of plague: model and evidence, Journal of Roman Archaeology No. 25, 2002.

4- Besser. M; Galen and the Origins of Experimental Neurosurgery, Austin Journal of Surgery, No. 1(2), 2014.

5- Birley, A; Marcus Aurelius, Taylor & Francis e-Library, New York, 2000.

6- Boak. A. E; Egypt and the plague of Marcus Aurelius, Historia 8.

7- Bunson. M; Encyclopedia of the Roman Empire, New York, 2002.

-Byrne. J; Encyclopedia Of Pestilence, Pandemics, And Plagues, Greenwood Press, London, 2008.

8- Carmichael AG. Universal and Particular: The Language of Plague(1348-1500), Medical history Supplement, No. 27.

9- Cambridge Companion to Galen, Cambridge University Press, 2008.

10- Castex. J; Architecture of Italy, Greenwood Press, London, 2008.

11- Christian. D; Silk roads or steppe roads? The Silk roads in world history, Journal of World History, No 11. 1, 2000.

12- Cunha. B; The Cause of the Plague of Athens: Plague, Typhoid, Typhus, Smallpox or Measles? Infectious Disease Clinics of North America, No. 18. 2004.

13- Chabrečková. B; Apollo and His Cult in the Geometric and Archaic Periods, Bachelor's Diploma Thesis, Masaryk University, Faculty of Arts Department of Archaeology and Museology, 2014.

14- Claridge. A; Rome. Oxford Archaeological Guide, Oxford, 1998.

15- Duncan-Jones. R; The Impact of the Antonine plague, Journal of Roman Archaeology, No. 9, 1996.

16- Evans. R; A History of Pergamum Beyond Hellenistic Kingship, Continuum International Publishing Group, London: New York, 2012.

17- Sear F; Roman Architecture, Ithaca, Cornell University Press, 1982.

18- Foxe. J; The Acts And Monuments Of The Christian Church, Volume. 1, Ex-classics Project, 2009.

19- Harl. K; Coinage in the Roman Economy , Baltimore, 1996.

20- Hopkins. K; Models, ships and staples', in Garnsey, P. and Whittaker, C. R, Trade and Famine in Classical Antiquity, Cambridge shire: Cambridge Philological Society,1983.

21- Howgego. C and Butcher. K; Coinage and the Roman Economy in the Antonine Period: the view from Egypt, Online, 2013.

22- Howgego. C; The Supply And Use Of Money In The Roman World 200 BC–AD 300, Journal of Roman Studies, No. 82, 1992.

23- Jackson. R; Doctors and Diseases in the Roman Empire, British Museum Press, London, 1988.

24- Jones. G; The Roman Mines at Riotinto, The Journal of Roman Studies, Volume 70 , November, 1980.

25- Knapp. R; Invisible Romans Prostitutes, Outlaws, Slaves, Gladiators, Ordinary Men And Women…The Romans That History Forgot, Profile Books Ltd, London, 2011.

26- Littman. R; Galen and the Antonine Plague, The American Journal of Philology, Vol. 94, No. 3 , Autumn, 1973.

27- Liu. X; Ancient India and Ancient China: Trade and Religious Exchanges, 1–600 AD, Oxford University Press, Oxford, 1994.

28- López Pérez. R; Apolo y Dioniso: A favor y en contra. Revista Chilena de Semiótica, 10 (58–73), 2019.

29- Maire. B; Greek and Roman in Latin Medical Texts: Studies in Cultural Change and Exchange in Ancient Medicine, Leiden: Brill, 2014.

30- Manouchehri. J; Sport and physical Education in Mithra (Mitra) Religion and their Relations with Roman-Persian Wars, Advances in Environmental Biology Journal , No. 8, Tehran, 2014.

31- McLaughlin. R; Rome and the Distant East, MPG Books Group Ltd, New York, 2010.

32- McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, Pen & Sword Military, Great Britain, South Yorkshire, 2010.

33- McLynn. F; Marcus Aurelius: A Life, , MA: Da Capo Press, Cambridge, 2009.

34 - McNeill. W. H; Plagues and Peoples, Anchor Press, New York, 1976.

35-Mitrofan. D; The Antonine Plague In Dacia And Moesia Inferior, Journal of Ancient History and Archeology, No. 1- 2, 2014.

36- Morens. D and Littman. R; Epidemiology of the Plague of Athens, Transactions of the American Philological Association, No. 122, 1992.

37- Munoz-Sanz. A; Marco Aurelio Antonino (121-180 d. C.), filósofo y emperador de Roma, y la peste de Galeno, Enferm Infecc Microbiol Clin, 30 (9), 2012.

38- Nutton. V; Ancient Medicine, Routledge, New York, 2004.

39- Pollard. N; Soldiers, Cities, and Civilians in Roman Syria, Michigan University Press, 2000.

40- Raoult. D; Paleomicrobiology: Past Human Infections, Springer Science & Business Media, Berlin 2008.

41- Sabbatani. S , Sirio Fiorino; La peste antonina e il declino dell'Impero Romano. Ruolo della guerra partica e della guerra marcomannica tra il 164 e il 182 d.C. nella diffusione del contagion, Le Infezioni in Medicina, No. 4, 261-275, 2009.

42- Scheidel. W; A model of demographic and economic change in Roman Egypt after the Antonine plague, Journal of Roman Archaeology No. 9, 2002.

43- Scott. S. Duncan. C, J; Biology of Plagues: Evidence from Historical Populations, Cambridge University Press, Cambridge, 2001.

44- Sidebotham. S; Berenike and the Ancient Maritime Spice Route, University of California Press, 2011.

45- Soupios. M. A; Impact of the Plague in Ancient Greece, Infectious Disease Clinics of North America, No. 18, 2004.

46- Stephens. W; Marcus Aurelius: A Guide For The Perplexed, Continuum International Publishing Group, New York, 2012.

47- Taco Terpstra. T; Trading Communities in the Roman World. A Micro-Economic and Institutional Perspective, Columbia Studies in the Classical Tradition, Leiden: Brill, 2013.

48- Tripolitis. A; Religions Of The Hellenistic-Roman Age, William B . Eerdmans Publishing Company, Cambridge, .

49- Warmington. E. H; The Commerce between the Roman Empire and India, Curson Press, London, 1928.

50- Wright. J; History's worst plagues and the heroes who fought them, Macmillan Publishing Group, LLC., New York, 2017.

51- Yankell. J; Roman Doctors From Charlatans To Wonder-Workers, Brandeis University, 2014.

52- Ziolkowski. A; The plundering of Epirus in 167 B.C.: Economic considerations, 1986.

تحليل القيم الجمالية والأخلاقية في المنهاج التربوي لمرحلة التعليم العام الأساسي في سورية وبيان أهميتها في بناء الشخصية

طالبة دكتوراه: ميرنا حنا سليمان

في قسم الفلسفة/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة تشرين

الدكتور المشرف: فارس النداف + د. عفراء اسماعيل

الملخص:

عمل البحث على تحليل القيم الجمالية والأخلاقية ضمن المنهاج التربوي لمرحلة التعليم العام الأساسي. وتبين أن المحتوى جيد معرفياً، لكنه غير كافٍ لتمكين قدرات المتعلّم في مهارات التذوق الجمالي، ونمو الحس الأخلاقي وعياً وسلوكاً. يعود ذلك لأن المنهاج يركز على المعرفة أكثر منه على المهارة، فيتعذر اكتساب القيم الجمالية والأخلاقية، كونها حصيلة لقاء النظر مع العمل. حيث لا يمارس المتعلّم نشاطات ذاتية تصقل شخصيته وتعزز قدرات التفكير الذاتي في مراجعة المعارف والأحكام المسبقة وتمحيص الآراء المعروضة أمام عقله. ذلك أن التفكير النقدي الجمالي والأخلاقي مهارة ذاتية تغني شخصية المتعلّم وتمكنّه الوصول إلى أحكام موضوعية، وإلى شخصية أكثر توازناً. مما يتطلب العمل على إعداد سياسات تربوية يتضافر فيها التعليم مع التدريب ليكون المنهاج التربوي منهاجاً للحياة.

كلمات مفتاحية: القيمة، القيم الجمالية، القيم الأخلاقية، المنهاج التربوي، التعليم العام الأساسي.

Analyzing the aesthetic and ethical values in the educational curricula of the basic general education stage in Syria and their importance in building character

Summary

The research analyzed the aesthetic and ethical values within the educational curriculum of the basic general education. It found that the content is cognitively good, but it is not sufficient to enable the learner's abilities in the skills of aesthetic appreciation, and the growth of the moral sense of awareness and behavior. This is because the curriculum focuses on knowledge more than on skill, and it is impossible to acquire aesthetic and ethical values, as it is the result of meeting theoretical thought with practice. So the learner does not engage in self-activities that burden his personality and enhance the abilities of self-reflection in reviewing knowledge and prejudices and scrutinizing the opinions presented before his mind. Critical thinking in the aesthetic and ethical is a subjective skill that enriches the personality of the learner and enables him to reach objective judgments and to a more balanced personality. Therefore, work must be taken to prepare educational policies in which education and training are combined to make the educational curriculum a way of life.

Key words: value, aesthetic values, moral values, educational curriculum, general pre-university education.

مقدمة:

تعمل الدول على تطوير مناهجها التعليمية والتربوية لتناسب احتياجاتها الوطنية في بناء إنسانها، وتراعي مواكبة النمو والتطور الحاصل في العالم، فتعتمد لذلك خططاً تلزم نفسها بتنفيذها. وعندما تواجه الدولة تحديات كبرى وتقل مواردها؛ فإن التوجه لبناء الإنسان يصبح مطلباً أكثر إلحاحاً يقع عبأه على عقول المخططين والمعنيين ببناء أجيال المستقبل. ومن هنا تعد فترة التعليم العام ما قبل الجامعي مهمةً تزود المتعلّم بالمعرفة والمهارة، وتساعد على توجيه مداركه، كما تنمي ميوله وتعزز اتجاهاته القيمية.

في سورية؛ تم اتباع سياسة إعداد مناهج تربوية جديدة متكاملة تغطي مرحلة التعليم العام الأساسي، بهدف حضّ المتعلّم على التفكير النقدي، وتنمية ملكاته الفكرية والنفسية. احتوت الموضوعات المدرسية المقررة بعض المشكلات الحياتية، ليفكر المتعلّم في معالجتها ذاتياً. كما تجلى بوضوح الاهتمام بقيم الانتماء للوطن واحترام الآخر وتقدير الذات، لذا يتساءل البحث عن إمكانية ملاءمة محتوى المنهاج في القيم الجمالية والأخلاقية لبناء شخصية المتعلّم فكراً وسلوكاً، وبالتالي تعزيز قدراته الذاتية ليكون منتمياً للوطن، متوازناً وقادراً على مواجهة مشكلات الحياة.

سيركز البحث على منهاج **التربية الدينية والتربية الوطنية والتربية الفنية والبصرية الجمالية والتربية الموسيقية والدراسات الاجتماعية ضمن مرحلة التعليم العام الأساسي**[1] لاستخلاص القيم الأخلاقية والجمالية منه. ولن تبحث في دور أركان العملية التربوية كافة (توافر الأدوات والوسائل التربوية، المدرس، المتعلّم، البيئة المدرسية والقوانين والأنظمة

[1] مع معرفة أن منهاج التعليم الثانوي ينطوي على الكثير من دلالات هذه القيم، خاصة لاحتوائه على دراسات فلسفية واجتماعية، غير أنها تحتاج دراسة خاصة بها.

الخاصة بقطاع التربية والأجر والتعويضات المادية، البيئة الأسرية،،، الخ)[2]. إنما قد تشير إليها عندما يستدعي سياق النص.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث بكون منهاج التعليم العام الأساسي لا يستثمر في شخصية المتعلّم بالشكل الأمثل نظراً لقلة الاهتمام بمضمون سلوكه وتعزيز مهاراته في التذوق الجمالي، وتنمية الشعور الأخلاقي لديه.

ينتج عن مشكلة البحث الأسئلة الآتية:

1. ما دور القيم في بناء شخصية المتعلّم وتكوين وعيه وسلوكه؟
2. ما نقاط ضعف المنهاج المؤثرة سلبياً في تعزيز قيم الجمال والأخلاق لدى المتعلّم.
3. كيف يمكن تعزيز محتوى المنهاج القيمي بمهارات المعايشة الجمالية والأخلاقية مع الآخر بما يمكن المنهاج التربوي من تحقيق هدفه في بناء جيلٍ منتمٍ للوطن؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إظهار أثر قيم الجمال والأخلاق في المناهج التربوية لبناء الشخصية الناشئة وتكوين وعيها وسلوكها، وتوجيه النظر للعمل على تعزيزها في المحتوى التربوي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تبيان دور القيم في بناء شخصية المتعلّم وتكوين وعيه وسلوكه بهدف تعزيز محتوى المنهاج القيمي بمهارات المعايشة الجمالية والأخلاقية مع الآخر بما يمكنه من تحقيق هدفه التربوي.

فرضية البحث:

[2] يُضاف إلى ذلك عوامل أخرى مؤثرة وخارجة عن إطار العملية التربوية تعود إلى ما فرضته الحرب من آثارٍ في قطاع التربية زاد من المشاكل التربوية، وأدى إلى تسرب الطلاب، وزيادة عدد الطلاب في القاعة الصفية الواحدة وخروج مدارس بأكملها عن العملية التعليمية، وقلة عدد المدرسين...الخ.

إن تعزيز القيم الجمالية والأخلاقية في المنهاج التربوي وتدريب المتعلّم على تمثلها كمهارة حياتية هو استثمار في بناء إنسانٍ يملك قدرات التفكير النقدي، كما ينمي ملكات الخيال والإبداع.

حدود البحث:

البحث مطبق على الكتب المدرسية في مرحلة التعليم الأساسي (التربية الدينية المسيحية والإسلامية، الدراسات الاجتماعية والتربية الوطنية، التربية الفنية والبصرية الجمالية، والتربية الموسيقية).

وزمانياً؛ يخص البحث الفترة الممتدة من 2018 ولغاية بداية العام الدراسي 2021/2020.

مصطلحات البحث:

المتعلّم: الطفل أو الناشئ الذي يتلقى التعليم المدرسي ابتداءً من الصف الأول وصولاً إلى الصف التاسع خلال مرحلة التعليم الأساسي"[3].

القيمة (value): تدل على ما يضفي على الشيء أهمية ووزناً ومكانة. والقيمة باللغة العربية من فعل قوم، الفعل الذي يدل على الانتقال من حالة اللااستواء إلى حالة الاستواء والاستقامة. "ويقال رمحٌ قويمُ وقوامٌ قويمٌ أي مستقيم. والقيم مصدر بمعنى الاستقامة، والله تعالى القيّوم والقيّام"[4]، و"القيمةُ، بالكسر: واحدةُ القِيَمِ. وما لَه قِيمةٌ : إذا لم يَدُمْ على شيءٍ. وقَوَّمْتُ السِّلْعَةَ واسْتَقَمْتُه: ثَمَّنْتُه. واسْتَقَامَ: اعْتَدَلَ. وقَوَّمْتُه: عَدَّلْتُه، فهو قَويمٌ ومُسْتَقِيمٌ"[5]. فهي خاصية ذات قيمة، أي إنّ القيمة هي شيء أو خاصية تعزى لها قيمة، أو ينظر إليهما على

[3] ورد في سياق البحث (التلميذ–الطالب) وجميعا تشير إلى المعنى ذاته، لكن تم اعتمادها بناء على السياق المأخوذ منه، حيث تستخدم وزارة التربية في أغلب مقدمات الكتب المدرسية مصطلح (المتعلّم)، ويرد مصطلح (الطالب) ضمن المضمون.

[4] انظر: ابن منظور، محمد بن كرم،1997م، لسان العرب، المجلد 12، ط6، دار صادر، بيروت، باب الميم، فصل القاف.

[5] الفيروز آبادي، الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب، 2005م، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، باب الميم، فصل القاف، (ق و م)، ص1152.

أنهما يتصفان بالقيمة. وهي فكرة أو قاعدة، تجعل في مقدورنا اعتبار موضوعات أو خصائص أو أفعال أو حوادث معينة، ذات قيمة، فالقيمة تتمتع بقوة الفعالية والتأثير. وتعني المبدأ الذي يوازن ويصنف الجيد من الرديء، والنافع من الضار، والجميل من القبيح، والرديء من الثمين...الخ، هذا المبدأ يجعل من القيمة ذات بعد إنساني، وهو "يتفق مع اعتبار القيمة محمولاً إنسانياً. إذ أنه هو وحده الذي يقوم على أساس تحقق الإنسان الكلي الشامل الذي يدعي كافة الفلاسفة أن تحققه هو حجر الزاوية في كل فلسفة للقيمة لديهم"[6].

مرحلة التعليم العام الأساسي: المرحلة التعليمية الممتدة من الصف الأول ولغاية الصف التاسع وتقسم إلى حلقتين: الحلقة الأولى لغاية الصف الخامس، والحلقة الثانية لغاية الصف التاسع. وفي سورية تتصف هذه المرحلة بالمجانية والإلزامية.

المنهاج التربوي: الخطة التدريسية المعتمدة من قبل وزارة التربية خلال مرحلة التعليم العام الأساسي في الجمهورية العربية السورية.

الدراسات السابقة:

1. **مشكلات تطبيق المناهج المطورة في سورية وسبل تطويرها من وجهة نظر معلمي الحلقة الأولى (دراسة ميدانية في مدينة اللاذقية)**، بحث منشور في مجلة جامعة تشرين من إعداد: د. روعة جناد، ود. هند خيربك، ورمضان إبراهيم. سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، م /40/، ع/ 5/، 2018. وقد هدف البحث إلى تعرف مشكلات تطبيق المناهج المطورة في سورية وسبل تطويرها من وجهة نظر معلمي الحلقة الأولى. مما توصلت إليه الدراسة تشابه آراء المعلمين حول المشكلات التي تواجههم مثل: العدد الكبير للتلاميذ داخل الصف، وقلة توافر الوسائل التعليمية، وضيق الوقت المخصص بسبب كثافة المنهاج.
2. **التفكير النقدي والدور التنموي للتعليم**، دراسة للدكتور محمد الطاغوس صادرة عن مركز دمشق للأبحاث والدراسات، تموز 2019. تتناول الدراسة إشكالية تمثل مناهج التربية مفاهيم

[6] انظر: خليل، حامد، مشكلات فلسفية، ط4، 1995، جامعة دمشق، دمشق، ص 311 و317.

التفكير المنطقي والتفكير النقدي، وتسعى إلى بيان لأي حد استطاع القائمون على إعداد مناهج التعليم تطوير آليات عمل قادرة على دمج مهارات التفكير النقدي داخل المناهج والمواد التعليمية. وقد أظهرت الدراسة أهمية التركيز على بناء قدرات خاصة للتفكير النقدي حسب كل مادة (كعلم الأحياء والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلسفة، وإنّ بناء المهارات والقدرات النقدية عند المتعلّم ترتبط بالانتقال إلى فلسفة تعليم قائمة على تضايف العلاقة بين التعليم بوساطة التفكير والتفكير بوساطة التعليم.

منهجية البحث:

تعتمد منهجية كتابة البحث على المنهج التحليلي الوصفي في بيان العلاقة بين المتغيرات، وهي هنا المتعلّم والقيم المذكورة. ويكشف عن أثرها ويفسره.

الأسلوب: استقرائي؛ ينطلق من دراسة المناهج التربوية المعتمدة لدى وزارة التربية، وقراءة الكتب المدرسية وتحليل مضمونها واستخلاص قيم الجمال والأخلاق.

أولاً: طبيعة المنهاج التربوي:

ينطوي المنهاج التربوي[7] ابتداءً من الصف الأول حتى الصف التاسع الأساسي على قيم متعددة أخلاقية وجمالية واجتماعي، كما تساهم موضوعات العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة والعلوم الإنسانية والتاريخية واللغات، فضلاً عن دورها في ترسيخ المعارف، في تكوين قيم تربوية وأخلاقية وجمالية بجانب كبيرٍ لا يجوز إهماله. فالمنهاج التربوي ككل ينظر

[7]تم الاطلاع على المناهج التربوية من خلال مراجعة الموقع الرسمي لوزارة التربية، حيث يتضمن الموقع المناهج كافة بصيغة pdf، وللمزيد يمكن مراجعة صفحة الوزارة على الرابط : http://moed.gov.sy/ . وقد تم الدخول إلى موقع الوزارة خلال الفترة الممتدة من 2019/6/24 ولغاية 2019/7/4. ومن خلال المتابعة لم تبين إجراء أي تعديل يُذكر يخص المقرات المدرسية المذكورة في هذا البحث لغاية بداية العام الدراسي 2020-2021م.

إلى الشخصية الإنسانية على أنها وحدة متكاملة، ويعمل على تكامل بناء المهارات مع المعارف في شخصية المتعلّم فمثلاً:

1. يتضمن منهاج العلوم دروساً حول النظافة والمحافظة على البيئة والطرقات بهدف تعزيز قيم الجمال واحترام ممتلكات الغير والحفاظ على البيئة والمجتمع.

2. يتضمن منهاج اللغة العربية نصوصاً تعلي من شأن القيم العليا كالإخلاص للوطن والتضحية والشهادة والتسامح، يُضاف إليها قيم جمالية ذات طبيعة أدبية كالتذوق السمعي الموسيقي للمفردات والنصوص الشعرية. وأخرى ذات طبيعة فنية من خلال استعراض آثار فنية. كما يتضمن قيم أخلاقية كالعدل والتسامح ضمن النصوص الأدبية والشعرية. وعلى سبيل المثال فإن منهاج اللغة العربية للصف السابع الأساسي يحتوي قيماً معرفية ومهارات نقدية في التفكير وحل المشكلات، ويعمل على إظهار المهارات الذاتية والإبداعية لدى الطالب وتنميتها من خلال الأنشطة والتعبير الكتابي. إذ ورد في كتاب اللغة العربية للصف السابع:

> "**المستوى الإبداعي: نوّعنا في أنشطة هذا المستوى لتقيس مهارات التفكير الإبداعي، فعرضنا على المتعلّم أنشطة، منها حل مشكلةٍ، أو عرض موقفٍ، أو اقتراح نهاية لنص مقترح النهاية، أو استبدال النهاية التي اختارها الكاتب بنهاية جديدة. أو إعادة صوغ النص بأسلوب المتعلّم، أو تحويل السرد إلى حوار، أو كتابة مقال إبداعي مستوحياً فكره مما ورد في النص. التعبير الكتابي: أولينا التعبير الكتابي أهمية خاصة، إذ تضمن كل درس نشاطاً من الأنشطة الكتابية، منها كتابة مقالة أو تلخيص قصة، وكتابة موضوعات في**

التعبير الوظيفي: كتابة مقالة، جدول البيانات، رسالة الطلب، النمط التفسيري"[8].

ومن المعلوم أن تعزيز مهارات التفكير العلمي والتفكير النقدي بما ينطوي عليه من قيم موضوعية ينمي لدى المتعلّمالقدرة على إعمال العقل ومراجعة الأحكام الرائجة، وهو يصب لصالح المطلب القيمي في نهاية المطاف. لأنه يعزز لديه القدرات الذاتية في مراجعة الأحكام القيمية السائدة حول ما يعد جميلاً أو غير جميلٍ، وأخلاقياً أو غير أخلاقي.

3. أما منهاج التاريخ للصف السابع؛ فقد تضمن موضوعات حول الحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية، وخطوات الإنسان الأولى نحو المدنية والاستقرار، مبيناً فيها بعض المفاهيم القانونية المستندة إلى قيم الحق والواجب، فضلاً عن قيم جمالية تاريخية[9]. لكن لم تتم الإشارة إلى القيم الجمالية بشكلٍ صريح إلّا في درس واحد بعنوان " **تمدن وحضارة** "حيث ذُكرت القيم الروحية والجمالية التي يعبر عنها فن العمارة.

إن احتواء هذه الكتب على موضوعات ذات مضمون قيمي يتكامل مع محتوى الكتب المدروسة لقيم جمالية وأخلاقية، ويعود ذلك إلى أن المناهج المدرسية تشكل منظومة واحدةً متكاملةٌ يعد الموضوع الواحد فيه جزءاً من الكل كما ذُكر سابقاً. فالمنهاج التربوي، حسب ما هو معلن، موجه لغايات أخلاقية وجمالية عليا.

[8] كتاب اللغة العربية، للصف السابع، الفصل الأول، ص 4

[9] انظر: كتاب التاريخ للصف السابع، ص 102 من موقع وزارة التربية على الرابط http://moed.gov.sy/ . إن عرض المنحوتات والتحف الفنية الخالدة، والصور القديمة، وتقديم معلومات صحيحة عنها يتقاطع مع المعارف المقدمة في التربية الفنية التشكيلية، ومع المعلومات المقدمة عن المعتقدات الدينية القديمة والديانات السائدة. كل هذا يساعد على تكوين قيم جمالية في ذهن المتعلّم، ويسهم في تشكيل قيم أخلاقية تحترم المعتقدات المتعددة لدى الشعوب. وهو ما يتطلب بالضرورة معرفة أن ظهور (الديانات السماوية) ناجم عن تطور الوعي وظهور فكرة الإله الواحد. وأن الديانات لا تدعو إلى الغاء القيم والقناعات الأخلاقية المتأصلة في الإنسان.

للتوضيح أكثر يستعرض الجدول الآتي المحتوى الجمالي والأخلاقي المؤثر في بناء الإنسان، بالتركيز على حس الانتماء، وتكوين مفهوم الوطن في ذهن المتعلّم. حيث تم الاطلاع على محتوى الكتب كما هو مبين في الجدول الآتي:

مرحلة التعليم الأساسي - الحلقة (أ)		
المادة	**أهم الموضوعات المتضمنة**	**القيم المطلوب تمثّلها**
الدراسات الاجتماعية	-الأنا والآخر -مجتمعي، بيئتي -لكل مشكلة حل. -قصصٌ من وطني، آثارٌ من بلدي الجميلة.	قيم الحق والواجب. محبة الوطن تعزيز الشعور بالانتماء إليه، من خلال احترام عَلَم الوطن واحترام الزملاء. قيم مجتمعية تشاركية، قيم الحق والواجب. قيم التفكير الموضوعي والتمييز بين الرأي والحقيقة وتعلم التحليل والاستنتاج والوصول إلى حل للمشكلات.
التربية الإسلامية	القرآن الكريم-الحديث الشريف-السيرة النبوية-الأخلاق	قيم احترام الوالدين، التعاون، الإحسان، والكلام الطيب.
التربية المسيحية	كتابي المقدس-ننمو مع يسوع-القيم الأخلاقية.	قيم المحبّة والتسامح والتواضع والأمانة. قيم الواجب تجاه الذات والآخر والوطن والدفاع عنه.
التربية الفنية البصرية والجمالية	الألوان-الرسم الخطي واللون -القيم اللونية-حرية الإبداع والتعبيرية-نشاطات حسية وبصرية.	الإحساس بجمال العمل الفني وتذوقه-قيم المحبة والتسامح بما يتضمنه من مضامين إنسانية وعلاقات جمالية.
التربية الموسيقية	الإيقاع-النشيد العربي السوري-الربيع. التعرف على بعض الآلات الموسيقية -أحبّ قريتي- بعض الأشعار والأغاني- معارف موسيقية-النشيد العربي السوري-أغاني أجنبية -آلات موسيقية -موسيقا عالمية. الجندي-رقصة جنبة سكر	قيم جمالية من خلال تعلم الطفل على التفكير في الأصوات التي يستمع لها في الطبيعة والاستمتاع بالموسيقا الهادئة والكلمات الجميلة- .إظهار الذات والتعبير عن المشاعر والعواطف، تنمية القيم الاجتماعية كالتعاون والمشاركة والانتماء للجماعة من خلال الانخراط مع المجموعات أثناء الأداء الغنائ والأداء الآلي الإيقاعي.
مرحلة التعليم الأساسي-الحلقة (ب)		
المادة	**أهم الموضوعات المتضمنة**	**القيم المطلوب تمثّلها**
الدراسات الاجتماعية	الأنا والآخر، المجتمع، الهجرة والمشكلات السكانية	قيم الانتماء الوطني-تحمل المسؤولية والقيام بالواجب وتنمية حس المبادرة تجاه الأسرة والمجتمع
التربية الوطنية	تطوير الذات-الحقوق والواجبات-الوطن والمواطن-التنمية المستدامة _بناء الشخصية-المتوازنة والمنتمية إلى الوطن.	تقدير الذات والآخر (الأسرة والمجتمع) الاعتراف بالآخر وقبول رأيه-المحبة-التعاون- الصدق والإخلاص.
التربية الدينية الإسلامية	إبداع الله في الكون-كرامة الإنسان-هدى للناس (رفق ورحمة-صدق وأمانة). توجيهات إلهية قيمة العمل-تكريم الله للإنسان-الإيمان قول وفعل-التميز والإبداع-الكبر والجمال-احترام الآخرين.من وحي التنزيل-حلاوة الإيمان	قيم الجمال الحسي والمعنوي- جمال التنوع واحترام الذات كما واحترام الآخر، قيم إيمانية ووجدانية، قيم العدل- قيم التضحية والانتماء للوطن، فضلاً عن التسامح.

	عبادة وصلاة -عدل وأدب -زرع وصدقة -الأخلاق الإسلامية-أجر عظيم-قيمة الشهادة والشهداء-تشريع حكيم-كتاباً موقوتا-رقي وسمو-أمان وسلام.	
التربية الدينية المسيحية	عطايا الله والله محبته-الحياة مع يسوع المسيح-الحياة مع الآخرين -الخلق والتجلي الإلهي وبنوة السيد-المسيح ودور الإيمان في شفاء وخلاص النفوس، وقيامة المسيح من بين الأموات-وأسرار الكنيسة.	قيم وجدانية إيمانية-سلوك المواطنة الصالحة-قيم إيمانية روحانية.
التربية الموسيقية	-تعريف بالتراث الموسيقي الآلي والغنائي الوطني والعربي والعالمي _أنواع التآليف الموسيقية -أغاني عربية وأجنبية-تاريخ وتذوق (موسيقيين عرب وأجانب). السلم الموسيقي-فواصل موسيقية-تاريخ وتذوق موسيقي-نشيد علمي-صولفيج-فرقة إيقاعية-أغاني تعبر عن ثقافات متنوعة-صناع الباروك -صوتك وصوتها -البيئة النظيفة -اللوائح -الآلات الموسيقية -من وطني -من قصص الشعوب.	-تنمية الذوق الموسيقي السليم للمتعلم وتهذيب وجدانه وتقويم سلوكه اكساب المتعلّم الحس الموسيقي- قيم انتماء وطنية. -قيم التعاون والمشاركة والانتماء إلى الجماعة.
التربية الفنية التشكيلية	الرسم الخطي واللون-التشكيل والتجسيم-الأشكال والأشغال اليدوية-التذوق الفني والجمالي-النحت والتشكيل-الأشغال اليدوية- الثقافة والنقد الفني-المنظور الظل-التجريد الهندسي-الألوان المائية -الفن والحياة -الفن والتراث-تكوين طبيعة صامتة	الاحساس بالجمال والتعبير الجمالي والإبداع-قيم جمالية من خلال التعبير عما يراه الفنان المنتج للقيمة الفنية قيم انتماء وطنية-قيم جمالية.

ثانياً: قراءة في محتوى المنهاج:

1. نجح المنهاج الخاص بالمادة الواحدة، خلال الصفوف المتتالية، بشكل مقبول في بناء فلسفة تربوية متكاملة، على مستوى البناء النظري، مراعياً النمو العقلي والنفسي للمتعلم. ففي منهاج التربية الفنية البصرية والجمالية والموسيقية، تم مراعاة استعداد الطفل لتلقي الجمال السمعي والبصري في الطبيعة وفي المجتمع وفي الفن، وأنّ الجمال مهارة تذوق تحتاج إلى بحثٍ ذاتي عنها وإلى تدريب عليها. مما يعني قدرة المنهاج على عكس الهدف المرجو منه، مراعياً مبدأ التتابع وفق المرحلة العمرية، ومبدأ التكامل بين المواد الدراسية خلال مرحلة التعليم ما قبل الجامعي كلها"[10]. لكن يبدو التعثّر بطريقة إيصال الهدف إلى المتعلّم، الذي هو الغاية في العملية التربوية كلها، أي في طرائق التدريس وأدواته وغياب التدريب واكتساب مهارات

[10] انظر: المعايير الوطنية لمناهج التعليم العام ما قبل الجامعي في الجمهورية العربية السورية، المركز الوطني لتطوير المناهج التربوية، وزارة التربية، دمشق، 2016– 2017م، ص9.

السلوك الأخلاقي الجيد والتذوق الجمالي. مما يعني ارباكاً في بناء الإنسان المتكامل بعكس ما ورد في الوثيقة الوطنية لتطوير المناهج، بتنمية القدرة على التعبير الفني عن المشاعر والأحاسيس المختلفة[11].

2. ورد في مقدمة كتاب التربية الفنية والتشكيلية: "إن مادة التربية الفنية التشكيلية مظهر من مظاهر حياة الإنسان ومؤشر لتقدم الأمة وتطورها الحضاري، وإنتاج مادي وإنساني نافع ومبتكر، وإبداع راق يوصف بالجمال، له قوة التعبير والتأثير"[12] وهو ما يدل على أهمية المُفكر به من قبل النظام التعليمي بوصفه مطلباً عصرياً. إلا أن هذا المنهاج في واقع الأمر، لا يأخذ حيزاً جيداً من الاهتمام الفعلي سواء من جهة المدرسين المختصين، أو من جهة توافر الأدوات والوسائل المناسبة لتربية الطفل على القيم الجمالية، والتي تعد بدورها مؤشراً لتقدم الأمة وتطورها الحضاري كما ذُكر، ما يفقدها الكثير من أهميتها ويجعلها موضعاً للاستخفاف. وبالتحديد أن الذهنية المجتمعية تنظر إلى هذه المناهج على أنها غير نافعة إذ لا تطعم خبزاً. وتفقد قيمتها أكثر في ذهن المعلم والتلميذ والأسرة معاً طالما أنها لا تعد مقرراً امتحانياً مهماً في الشهادتين الاعدادية والثانوية. أي إن المؤشر المهم في هذا السياق هو اقتناع الأركان المعنية بالعملية التعليمة (الأسرة والمدرسة والمتعلّم) على أن التربية الجمالية وما يخص التذوق الجمالي لدى الإنسان لا أهمية له أمام تحصيل الدرجات العليا والتفوق في المواد الدراسية الأخرى. فيتمثل ذهن المتعلّم هذا الموقف، وهو مازال طفلاً، ويعمل على تحصيل المعلومة عن ظهر قلب لتصل درجاته إلى المستوى المطلوب، ويكون متميزاً عن أقرانه، من دون أن يتدرب عليها كممارسة نشاط جمالي في هذه المرحلة. أما تلقي التربية الأخلاقية في المدرسة فيوكل أمرها إلى التربية الدينية وإلى بعض الإداريين والموجهين المعنيين بتقييم سلوك المتعلّم.

[11] المرجع السابق، ص 1334.

[12] التربية الفنية التشكيلية للصف الخامس، 2018–2019، ص 7.

3. عُرضت في الصفحة/ 19/ من مقدمة كتاب التربية الفنية التشكيلية للصف السادس لوحة أزهار عباد الشمس للفنان **(فان كوخ)**، ووردت بعض الأسئلة حولها يُطلب فيها من التلميذ التعبير عن توقعاته لمشاعر الفنان عند رسمه اللوحة، ليتعلم التفكير في الظروف التي وجد فيها الفنان عما يحبه ويميل إليه[13]. والواقع ينطوي هذا المطلب على قيمة أخلاقية وجمالية في الوقت ذاته، ففيه يتعلم الطالب أن يفكر في مشاعر الآخرين كما يفكر في مشاعره، ويتفهمها بناء على ظروف الآخر، ويربط الأثر الفني ببيئة الفنان المبدع. ويعي أن القيمة الجمالية بطبيعتها نسبية متغيرة وفقاً لثقافة المجتمع وتاريخه. وهي قيمة أخلاقية أيضاً لأنها تنطوي على فهم بيئة الآخر وتقبل ظروفه التي أدت به إلى تحبيذ هذا الأثر الجمالي من دون غيره. فيعي الطالب أن التذوق الجمالي أمرٌ متعددٌ، وأن الثقافة تلعب دوراً في تحبيذ نوعٍ من الجمال دون غيره. مما يمكن أن يشكل عاملاً في قبول الاختلاف واحترام التعددية في الرأي والذوق، وفهم كنه الطبيعة والوجود، وهو أحد الموضوعات المهمة الواجب العمل على تمكينها كمهارة في التفكير الجمالي.

4. تُطرح الأفكار في منهاج الدراسات الاجتماعية وتتم معالجتها على شكل مهارات حياتية، من خلال استنتاج التلميذ للمشكلة واستنباطه الحل وطرح التساؤل والتحليل والإجابة، مما يفسح المجال لاكتشاف قدرات المتعلّم ومواهبة وميوله. هذا أسلوب جيد في بناء الذات الإنسانية لكنه غير كافٍ، بسبب غياب تدريب السلوك الإنساني على تمثّل القيم، وتعزيز محتوى النصوص باحترام الاختلاف والتنوع القائم في المجتمع، وهو يعزز شعور الانتماء للوطن. علماً أن رسالة الدراسات الاجتماعية حسب المعايير الوطنية المعتمدة لدى وزارة التربية تنص بأنّ:

" **تتطلب الرسالة الوطنية للدراسات الاجتماعية إدراج كل خصائص المتعلّمين الثقافية، واللغوية، وقبول التنوع الذي يشمل أوجه التشابه**

[13] كتاب التربية الفنية التشكيلية، الصف السادس، م.س، ص 19 و 20 بتصرف.

والاختلاف على أساس اللغة أو الدين أو الجنس، وجميع الاحتياجات التعليمية الاستثنائية وغيرها من الصفات التربوية والشخصية التي تعبر عن الالتزام الأخلاقي والوطني والإنساني ضمن معايير الشخصية الوطنية للمتعلم. ويجسد تطبيق قبول التنوع بين المتعلّمين واحترامه الهدف الديمقراطي في تبني قبول التعددية لجعل الحصص المدرسية للدراسات الاجتماعية مختبرات للديمقراطية واحترام الحوار البناء، وتقدير الاختلاف والتنوع"[14].

ورغم أهمية الأسلوب وسمو الهدف المرجو؛ إلا أن التعاطي معه يفقده قيمته، فغالباً ما تكون إجابات المتعلّمين موحدة من قبل مدرس المادة، للاستسهال أو لكثرة الطلبة في القاعة الدرسية الواحدة، أو لعدم قدرة المدرس على قيادة حوار فعال، أو لغياب الوسائل التعليمية والإيضاحية، أو ربما لتضافر العوامل المذكورة.

5. يتضمن كتاب الدراسات الاجتماعية للصف الثالث الابتدائي مفهوم الذات الإنسانية والآخر بشكل مبسط، لكنه يشجع على التعبير عن النفس والاستماع للآخر، والوصول إلى نتيجة من خلال الممارسة الديمقراطية. تتضح في الدروس قيم التشاركية والتضامن الاجتماعي بوصفها من القيم الأخلاقية التي تعزز البناء الاجتماعي بين أفراد المجتمع. ويتشابه كتاب الدراسات الاجتماعية في الصف الثالث معه في الصف الرابع في المحتوى العام والقيم المتمثلة. إلا أن محتوى المنهاج في الصف الرابع يمتاز عنه في الصف الثالث بكونه ينمي مهارات الشخصية، ويحاكي مشكلات حقيقية تواجه ذات الطفل في حياته الأسرية ومع أصدقائه، وتنمي لديه القدرة على مواجهة المشكلة من خلال فهمها وتحليلها واستنتاج الحل الجيد. ما يدل على أن المحتوى النظري المتعلق بمهارات الحياة معدٌ بشكلٍ جيدٍ يتناسب مع

[14] المعايير الوطنية لمناهج التعليم العام ما قبل الجامعي في الجمهورية العربية السورية، م.س، ص 806.

النمو العقلي والنفسي للتلميذ. والواقع أن هذا الأمر واضحٌ بشكل جيد في محتوى التربية الفنية البصرية والجمالية والموسيقية. إذ يتم مراعاة استعداد الطفل لتلقي الجمال السمعي والبصري في الطبيعة وفي المجتمع وفي الفن. ويتم توجيهه بأن التربية على الجمال هي مهارة تذوق تحتاج إلى بحثٍ ذاتي عنها وإلى تدريب عليها.

6. فضلاً عن ذلك يُلاحظ أيضاً أن محتوى التربية الوطنية غني بالقيم الأخلاقية الهادفة إلى تعزيز مشاعر الانتماء للوطن. حيث توجد موضوعات تتعلق بنمو شخصية الطالب المتوازن والمنتمي إلى الوطن، وتركز على دور قيم التضامن الاجتماعي، وتوضح دور الأسرة والمجتمع في تعزيز الدور البنائي لشخصية المتعلّم. إلا أن الموضوع يستدعي طريقة طرح موضوعات التربية الوطنية بشكل مهاراتي محفز للطالب ومقنع لعقله، حتى يعي المتعلّم أن الحفاظ على نظافة الصف والشارع هو انتماءٌ للوطن ومحبة له، وأن الحوار مع زميله هو ممارسة للديمقراطية، وأن احترام عَلَم بلده يعني تحريم الغش في الامتحان، وتحريم سرقة قلم زميله...الخ.[15]

إن كان محتوى الكتب المدرسية معدٌ بشكل جيدٍ ومتكامل وهادف، ويتضمن قيماً غنية بالتذوق الجمالي والحس الأخلاقي، ويهدف من خلالها إلى بناء شخصية متوازنة؛ فأين مكمن الإشكالية إذاً!

يكمن الإشكال في أن المنهاج التربوي لا يلبي متطلبات فعل (التربية) المعرفية والمهاراتية والقيمية، إذ إن اكتساب القيمة يبقى منقوصاً كونها لم تُمَارس كنشاطٍ ذاتي يتمثل المتعلّم من خلاله معانيها. فإيصال المحتوى لا يتوقف على مستوى المعرفة النظرية، كون التربية ماهي

[15] إن القيم الأخلاقية التي تعزز شعور الانتماء للوطن متضمنة أيضاً في مناهج اللغة العربية من خلال النصوص والأشعار، وتتضمن مواد الرياضيات أساليب منطقية في بناء التفكير العقلي المجرد، وهي ما يجب استثماره بشكل فعلي يخرج عن النطاق المدرسي والامتحاني لما يتضمنه التفكير الرياضي من أسس وقواعد منطقية صارمة تعلم الطالب التفكير الصحيح، وتولد فيه القدرة على المحاكمة السليمة، ومن ثم يعزز التفكير الرياضي التفكير العلمي والموضوعي لدى الجيل الناشئ.

إلا تمثل القيم وعياً وسلوكاً. لذلك فإن نجاح المنهاج في بناء شخصية المتعلّم، يتطلب نقل المعرفة النظرية إلى مستوى العمل والممارسة، والاقتراب من اهتماماته، وإشراكه بنشاطات تلامس ميوله واتجاهاته. إن اكتساب القيم يحتاج إلى ذوات إنسانية فاعلة تؤثر وتتأثر، وإلّا بقيت الفائدة حبيسة الكلمات والتعابير الإنشائية، وباتت مواصفات شخصية الجيل الواجب تكوينها إيحائية مقلدة. فهل المطلوب هو بناء شخصية وطنية متوازنة تمتلك مهارات النقد والابتكار والإبداع، أم المطلوب تكوين شخصية تتلقى وتحاكي؟ **إنّ الإجابة على هذا السؤال تشكل جوهر العمل التربوي.**

من جهة أخرى لا يشجع المنهاج المتعلّم على اكتساب مهارات التفكير المتنوعة وفقاً لقواعد التفكير العلمي والتفكير المنطقي والتفكير النقدي والتفكير الإبداعي، ولا يحثه على مراجعة مصادر المعرفة كالمراجع والمكتبات ومراكز الأبحاث. فقد لا يكون بمقدور المتعلّم إدراك تعددية مصادر المعرفة وإمكانية الوصول إليها. ومن ثم لن يكون بإمكانه الوصول إلى تكوين المعرفة الموضوعية، من خلال القدرة على ربط العلل بالمعلولات والمقدمات بالنتائج. وبالتالي سيكون من الصعب التعويل على تدريب المتعلّم امتلاك مهارات التفكير النقدي (التحليل والاستقراء والاستنتاج والحكم والتقييم). ومن دون الوصول إلى هذا المستوى لا يمكن القول بأن المنهاج المدرسي قادرٌ على بناء الشخصية النقدية في المتعلّم.

كما لا ينطوي المنهاج من حيث الزمن والأدوات على قيام المتعلّم بنشاطات ذاتية أو جماعية تقوم بها المدرسة كزيارة المكتبات والمتاحف ومعاهد الفنون ومعارض الرسم، واللقاء بالفنانين أو الشعراء أو الأدباء، إلا فيما ندر. غير أن تمكين المتعلّم بالبحث عن مصادر المعلومات وتقييم معارفه ومسلماته يولد لديه القيم الجمالية في الإبداع والانتاج الجديد. فإن إنتاج الجديد من المعارف ينطوي على قيمة جمالية، هي قيمة استحضار الجديد أمام الذهن، ومساءلة القديم عن صلاحيته ومصداقيته.

إن المطلوب في البناء التربوي الناجع اتصاف ذهن المتعلّم بالوضوح، والصحة والدقة والارتباط والمقارنة والعمق والاتساع والشمولية. حيث يتضح وجود إشكالٍ في تمثل مناهج التربية لمفاهيم التفكير المنطقي والنقدي، ويعود ذلك إلى عدم تطوير آليات عمل مناسبة تقوم على دمج مهارات التفكير النقدي ضمن المناهج والمواد التعليمية. الأمر الذي يتطلب ضرورة التركيز على بناء قدرات خاصة للتفكير النقدي حسب كل مادة (كعلم الأحياء والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلسفة)، ذلك أنّ بناء المهارات والقدرات النقدية عند المتعلّم يرتبط بالانتقال نحو فلسفة تعليم قائمة على تضايف العلاقة بين التعليم بوساطة التفكير والتفكير بوساطة التعليم[16]. لذلك لعل مئات الكتب المدرسية حول النظريات الجمالية والأخلاقية لن تبذر بذرة واحدة في ذهن المتعلّم مالم يمارس ويحاكي وينتقد ويخطئ ويصوّب بذاته. وبهذا السياق يمكن الاستفادة من التجربة السنغافورية في التعليم؛ حيث "اختصرت سنغافورة من مناهجها بنسبة تتراوح بين (10–30%) من أجل السماح بإدخال قدر معين من المهارات العقلية والروح الابتكارية والإبداعية في المناهج وطرق وضع الاختبارات. لأنها سمحت بأكبر قدر من الروح الإبداعية في عمليات التدريس"[17]. كما استطاعت من خلال اصلاح وتطوير نظامها التعليمي من أن "تصبح قصة نجاح تحولت في أقل من/50/ عام من جزيرة فقيرة ليس لديها أي موارد طبيعية ومعظم سكانها من الأميين إلى بلد يحوي / 407/ مليون شخص مستوياتهم المعيشى تماثل الدول الصناعية الكبرى. وبذا تتحدد مهمة التربية والتعليم في تكوين وبناء الإنسان السنغافوري لتجعل منه عنصراً قادراً على المساهمة في تطوير

[16] انظر: الطاغوس، محمد، تموز 2019، التفكير النقدي والدور التنويري للتعليم، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، دمشق، متاح على الرابط:www.dcrs.sy ، تاريخ الدخول 7 /6/ 2019م.

[17] العباد، عبد الله حمد، التعليم وقيادة التغيرات المجتمعية المعاصرة (سنغافورة– نموذج)، متاح على الرابط: https://fac.ksu.edu.sa/. تاريخ الدخول إلى الموقع 2020/9/9. ص 9و10 بتصرف.

مستقبل بلده"[18]. إضافةً إلى ذلك يوجد نشاطات إضافية إلى المناهج، "كالطلب باستمرار من الطلاب شراء كتب وكتابة تقييمات لها، ويسري ذلك على جميع المواضيع، ويتم حساب الدرجات المتحصلة ضمن المعدل السنوي، وهو ما يوفر للطلاب الفرصة لتكوين مكتبات صغيرة لهم، وينمي حب المطالعة والإدراك العلمي لديهم، وإضافة لذلك توجد مراكز للتعليم تستقبل الطلاب الراغبين بالتعليم بعد المدرسة"[19]. فيكون لهذا الأمر أثراً تحفيزياً كبيراً في تشجيع المتعلّم لتطوير قدراته.

إنّ مهارات التفكير العلمي والتفكير النقدي والتفكير الإبداعي جميعها تتطلب التدريب والمران اللازم من قبل المتعلّم ذاته، بحيث تضمن السياسة التربوية نجاح هذه العمليات العقلية. ومالم يتم تمثّل القيم التربوية في تفهم الذات وتفهم الآخر؛ فإن القيم الجمالية والأخلاقية المشار إليها سابقاً تفقد معناها البنائي في شخصية المتعلّم. فأسلوب إيصال المحتوى لا يساعد المتعلّم على فهم الآخرين من حوله، ولا على تحسين أفكاره أو نقدها وبنائها من جديد. بل إن المتعلّم قد يفقد إمكانية اكتساب مهارات أو تنمية مهارات أخرى من الضروري له تلقيها في هذا العمر. وبهذا تفقد المدرسة وظيفتها التربوية الأساسية في بناء جيلٍ متمكنٍ علمياً وأخلاقياً، ومحصنٍ وطنياً.

[18] شامي، شريفة علي (جمع وتنسيق)، تجارب ناجحة في الإشراف التربوي، متاح على الرابط: https://faculty.psau.edu.sa/، تاريخ الدخول إلى الموقع: 2020/9/9. ص 4 بتصرف. ولقد هدفت الإصلاحات في النظام التعليمي إلى التأكد من تلقي الطلبة لتعليم حقيقي، ووضع معايير عالية للتعليم، كان أثرها بأن أدت إلى ارتفاع معدلات التخرج في سنغافورة، كما كيفت وزارة التربية مناهجها بمرونة وتخلت عن سيطرتها المركزية في امتلاك القرار لصالح تعزيز الأساليب المهنية لمهمة التدريس بذاتها، واعتماد نماذج مركزة على القدرة، لتنمية ثقافة التعلم والتفكير العميق. للمزيد انظر: المرجع السابق، من ص6– ص8.

[19] العبيدي، سمير عبد الرسول، دور المؤسسات التعليمية في النهضة السنغافورية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية في جامعة المستنصرية، ع/ 38/، بغداد، 2012، متاح على الرابط: www.iasj.net، تاريخ الدخول إلى الموقع 7/6/ 2019م، ص232.

لذلك؛ أن يتدرب المتعلّم على استخدام أصابع يده للعزف على الآلة الموسيقية في المدرسة أفضل لنمو شخصيته من التعود على سماع الموسيقا بلمس شاشة جواله الشخصي. ولعل الأفضل هو البحث عن المؤلف الموسيقي الذي أنتج المقطوعة الموسيقية، والحصول على التشجيع المناسب لينتج المتعلّم بذاته بصمته الموسيقية. فتدريب الطالب على إنتاج القيمة الجمالية بنفسه أنجع من تعلمه الحصول عليها جاهزة. أما من دون أن يسأل من أنتج هذا الجمال، وكيف تتم الصنعة الجمالية؛ فإنه لن يسأل نفسه عن إمكانياته إبداع أشكال جديدة للحُسن والجمال.

لعل هذا الأمر يفضي إلى قضية فلسفية أساسية تبني عليها الدولة سياستها التربوية، وهي؛ هل تهدف مرحلة التعليم الأساسي إلى تلقين معلومات وتكوين مخزون من المعارف لدى الأجيال؟ أم تهدف إلى تكوين مهارات في الحياة؟ فالتدريب ينصب على السلوك، وغرس القيم يفضي إلى سلوكٍ في نهاية المطاف. وإن كان التوجه التربوي قائم على تعزيز المرحلة كتلقين معارف وتدريب سلوك وبناء شخصية في الوقت الواحد؛ فإن السياسات التربوية يجب أن تعزز هذين الجانبين معاً.

ثالثاً: نتائج البحث ومناقشتها:

1. يتضح أن المحتوى المعرفي للمنهاج التربوي في مرحلة التعليم الأساسي ما قبل الجامعي غني بقيم الجمال والأخلاق على تنوعاتها، وهي ليست محصورةً في مقرر دراسي محدد؛ كأن تكون القيم الأخلاقية محصورة في منهاج الدراسات الاجتماعية، والقيم الجمالية محصورة في مقرر التربية الجمالية الفنية...الخ.
2. لم يتم للآن اعتماد استراتيجية تربوية تقوم على اكتشاف المواهب وتنميتها، فمازال الطلاب كافة يتلقون المناهج ذاتها من مرحلة التعليم الأولى مروراً بالصف الأول حتى حصولهم على الشهادة الثانوية. يتم توزيعهم في بداية المرحلة الثانوية وفقاً لمعيار المجموع العام في

شهادة التعليم الأساسي فقط. ولا تُراعى مواهب الأدب والرسم والموسيقا والرياضة، ولا المواهب العلمية والرياضية والفكرية والميول الإبداعية، باستثناء مسابقة الأولمبياد العلمي (التي تقوم بها هيئة التميز والإبداع)، والتي يكون أساسها هو التفوق العلمي في المجموع العام في شهادة التعليم الأساسي بالتركيز على مواد الرياضيات والفيزياء والكيمياء[20]. أما من حيث استكشاف المهارات والمواهب الذاتية فلايزال الأمر بعيداً الى حد كبير عن السياسات التربوية والتعليمية، ولا يستطيع المتعلّم أن يختار ما يريد دراسته، بل تحدد له نتائج اختباراته النظرية طريقه واختصاصه. وهنا أيضاً يمكن الاستفادة من التجربة السنغافورية في تطوير نظام التعليم. لذلك فإن تنوع الاستراتيجيات التعليمية ضمن النظام التعليمي يفسح المجال أمام ظهور المواهب والإبداعات الفردية، لذا يجب إعادة النظر بهذه الموضوعات وإيلائها أهمية كما هي بقية الموضوعات الأخرى.

3. اللافت للاهتمام أن التربية الرياضية تُعامل معاملة التربية الفنية والموسيقية والتربية الفنية البصرية. فلا يوجد خطة تدريبية للتربية الرياضية تراعي البناء الجسمي ونمو المتعلّم، ولا تخرج عن إطار الهوايات والمتعة في أوقات الفراغ. كما لا يُدرج اللعب كوسيلة تربوية في إيصال فكرة أو قيمة، أو طريقة تفكير في معالجة موضوعٍ ما. وهو مؤشرٌ غير إيجابي بالنظر إلى الأثر البعيد في نفس المتعلّم وتكوين شخصيته مستقبلاً. ذلك أن اللعب في حقيقته نشاطٌ حر، يتطلب مساحة من الخيال للإبداع، ويؤدي وظيفة جمالية فضلاً عن الوظيفة النفسية والبدنية من جهة. إضافةً إلى ذلك تسهم النشاطات الرياضية في تشكيل قيم أخلاقية واجتماعية لدى الطالب، فيأخذ بعين الاعتبار وجود آخرين، ويعي أنه عضوٌ في جماعة يشكل معها فريقاً واحداً، وأن الفريق الآخر هو خصمٌ لا عدوٌ، والعلاقة معه هي تنافسية لا صراع وإلغاء أدوار ومكانة. يُضاف إلى ذلك الوظيفة العقلية التي يلبيها اللعب، إذ

[20] لا تخلو النشاطات المدرسية بالمطلق من إشراك الطلبة ببعض المسابقات الرياضية بين المدارس، أو بعض المسابقات العلمية. لكنها لا تحقق أهدافها التربوية والقيمية.

يساعد على إدراك العالم الخارج، وينمي مهارات التفكير والتحليل والاستكشاف والابتكار الذاتي، كما يساعد في إيجاد حلول وطرق جديدة مبتكرة لتحقيق الهدف والفوز في اللعبة.

4. يشكل المدرس عاملاً أساسياً في تكوين ذات المتعلّمين. وبقدر ما يتمثل القيم الجمالية والأخلاقية، بقدر ما ينقلها لهم بصدق وتلقائية. ومن المعروف أن المتعلّم يتأثر بسلوك أساتذته، مما يعني أن وعيه للقيم يأتي من خلال وجود قدوة تمتثل أمامه. إلا أن المعلم يواجه صعوبات في تطبيق المنهاج، منها كثرة عدد التلاميذ في الصف (بما لا يقل عن 40 تلميذ في الصف الواحد). في حين أنه من المفترض ألا يتجاوز عدد التلاميذ (25). ومن جهة أخرى عدم توافر الوسائل الإيضاحية المناسبة في المدرسة، وضعف القدرة المادية للمدرس في تأمينها من نفقته الخاصة. فتخسر القيم التربوية بعض معانيها الأخلاقية والجمالية والعلمية في ذهن التلميذ والمدرس، وهو هدر للوقت والعقل والإنسان[21].

5. يُلحظ في منهاج التربية الدينية الإسلامية للصف الخامس الأساسي أمرٌ ذو دلالة مهمة، ففي نسخة الكتاب للعام الدراسي 2018/2017 والذي طُبع لأول مرة للعام الدراسي 2012/2011 تعبر الصور فقط عن الطفل الذكر أي صورة الولد في البيت مع العائلة والأصدقاء، وصورة التلميذ في مدرسة لا يوجد فيها سوى الصبية الذكور. ولم يتضمن أي غلاف لكتاب التربية الإسلامية صورة لصبي مع فتاة ولا حتى بما يشير إلى علاقة الأخوة ضمن الأسرة الواحد. مما يرسخ في ذهن المتعلّم /ة / الفصل الاجتماعي بين الذكور والإناث، ويظهر وكأنه الحالة الطبيعية للعلاقات الاجتماعية، وهذا يتنافى مع المبادئ الإنسانية الطبيعية، ومع بداهة الوجود، ألا وهي الوجود المتعدد والمتنوع والمختلف. أما في النسخة الجديدة للعام الدراسي 2018/ 2019 فقد تم تغيير الصور المرسومة مشركاً فيها الطفل والطفلة، الأب والأم. وهنا تكمن أهمية الصورة (اللوحة) في الذهن، حيث يترسخ في

[21] وللمزيد يمكن مراجعة: جناد، روعة وآخرون، مشكلات تطبيق المناهج المطورة في سورية وسبل تطويرها من وجهة نظر معلمي الحلقة الأولى (دراسة ميدانية في مدينة اللاذقية)، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة جامعة تشرين، م40، ع/5/.

ذهن الطفل الناشئ أن اللاأحادية هي النمط الوحيد الموجود؛ فسيكون من الصعوبة بمكان الدعوة إلى الحريات والحق في الاختلاف، وستكون القيم التربوية مبتورة الفهم، قاصرةً عن التعبير المناسب عن بداهة وجود الإنسان. وعندما لا يمكن الحديث عن تنوع؛ لن يكون بالإمكان الحديث عن الاختلاف وقبول الآخر، ولن يكون للبحث عن قيم جمالية وأخلاقية أي معنى. هذا النمط التعبيري في التصوير الحسي ينطوي على رمزية مهمة، ذات دلالة عميقة في المضمون وهي إلغاء صورة المرأة.

تظهر الإشكالية بوضوح أكثر في مضمون منهاجي التربية الدينية (المسيحية والإسلامية). ففي كليهما يكمن الإشكال بأن:

- المحتوى ليس موجهاً إلى التلاميذ جميعهم على سوية واحدة، بل إلى فئتين من التلاميذ مصنفتين حسب الانتماء الديني. ورغم أن محتوى المنهاجان ينطوي على قيم إنسانية جمالية وأخلاقية عليا، غير أن مصدر المعيار القيمي هو ذاتي خاص لا موضوعي مشترك، لأن كلا التربيتين المسيحية والإسلامية يقومان على احترام الرموز الدينية والمقدسات الخاصة لدى كل دين. وهو أمرٌ ذو دلالة روحانية عقائدية، غير أنها منقوصة حيث لا يرافقها تعرف المتعلّم على رموز ومقدسات التي يتعرف إليها زميله في القاعة الصفية الأخرى. بل لعله لم يدرك لماذا انفصل زميله عنه في قاعة درسية أخرى، ولماذا يتعلم من كتاب آخر غير الكتاب الذي يقع بين يديه. بحيث ينمي في ذهنيته المرجعية الواحدة لمتبعي هذه الديانة أو تلك، مع غياب تعرف التلميذ إلى المعتدات الدينية لدى زميله الآخر، وعلى القيم التي يتضمنها هذا المعتقد أو ذاك. فقلما يوجد نص صريح يتناول الديانات والمعتقدات لدى الشعوب وتاريخ نشوء المعتقدات وتطور الوعي الديني لدى الحضارات، وظهور الديانات الكبرى اليهودية والمسيحية والإسلامية والبوذية والكونفوشوسية، وانتشارها لدى الشعوب.
- التربية الدينية قوامها تمثل قيم سلوكية، فمن الضرورة إذاً أن يتم التعامل معها على شكل مهارات في الحياة، ولعل الأفضل في درس التربية الدينية أن يتم تنظيف باحة المدرسة

كتمثل لقيم اجتماعية ووطنية وجمالية. أو أن يقوم الطلاب جميعهم بزيارة الأماكن المقدسة والتعرف على دلالاتها ورمزيتها الدينية. يقاس على هذا الأساس فهم حقيقة وجود الآخر وأهميتها في احترام المواطنة.

لعل إشكال التربية الدينية، لا يعود في جذوره الفكرية إلى مشكلة المناهج التربوية، إنما إلى طبيعة العقل الجمعي الذي يضفي صفة القداسة والتحريم دون ضوابط عقلية، فلا قيمة لأي تربية لا تميز بين قبح الفكرة وحسنها، أو بين تطبيق القانون وإجراءات ردعه. علماً أن قوام التربية الدينية المثلى يقوم على ضوابط:

1- تلمس المعرفة بقيم الحُسن والقبح.

2- توجيه السلوك نحو ما هو جميل وخير وحق، والردع من القيام بأفعال القبح والشر والباطل.

3- المساءلة والحساب في حال مخالفة القيم العليا.

فالدور المنوط بالمنهاج التربوي أن يتمثل بقيم الجمال والأخلاق معيار قيمة (الحق- الباطل) و(الحُسن- القبح). وهو ما يتطلب وجود حوار عقلاني مجتمعي بين نخبة من العقلاء عنوانه أولوية قيم العقل الموضوعي على قيم العقل الذاتي. ومن الممكن أن تكون الصيغة قراراً سياسياً مجتمعياً يلزم السياسات الحكومية بتبني رؤية جديدة لبناء الذات الإنسانية. الأمر الذي يستدعي من البرامج الوطنية التنموية لسورية (الدولة والمجتمع) اعتباره أولوية. وسيكون له آثار واضحة بعد فترة من الزمن، ريثما تتمكن المؤسسات الحكومية والمجتمعية من تبنيه وتنفيذه. ولعله من الجيد التأكيد على أهمية الاستثمار في التعليم أسوة بالدول التي نهضت وتطورت كسنغافورة واليابان مثلاً، ودوره الناجع في تحقيق التنمية، وإن تخصيص موارد مالية لبناء النظام التعليمي بأركانه كفيل بذلك.

رابعاً: مقترحات البحث:

1. العمل على تطوير نظام التعليم ما قبل الجامعي من خلال النظر للإنسان على أنه رأس المال الحقيقي سواء بقدراته العقلية أو بما يحمله من حسٍّ أخلاقي وجمالي. والنظر على أن الاستثمار في مقدراته مضمون النجاح.
2. بناء استراتيجية تربوية تعزز مهارات التفكير النقدي ومساءلة الإنسان عن مسلماته ومعارفه، وتنظر إلى القيم الجمالية على أنها نابعة من فطرة الإنسان. ومن الواجب تنمية هذه الملكات لتصبح مهارة يتقنها المتعلّم بالتدريب والممارسة، تؤدي إلى إنماء شخصية المتلقي فكرياً وقيمياً.
3. تعزيز دور القدوة في العملية التربوية، وتولي المدرس مكانة مهمة في بناء الإنسان. فالمربي الصالح يعزز في شخصية المتعلّم مفهوم القدوة والحكمة، ويشكل صمام الأمان في المجتمع عند اضطراب منظومة القيم.
4. التقليل من عدد ساعات التدريسية التلقينية لصالح ساعات تدريبية للمساعدة على إتقان مهارات في الموضوعات ذاتها، أسوة بتجربة سنغافورة، وهي دولة رائدة في مجال الاستثمار في التربية لصالح التنمية وتطوير المجتمع كما تبين سابقاً.
5. العمل على أن يخرج التعليم من شكله المعتاد المقتصر على تكوين معارف إلى شكل تدريبٍ واتقان لمهارات. وهو مايتطب:

- مفهوم آخر للعب، ففي اللعب يُظهر المتعلّم قدرته على عيش الحياة بحرية، وفي اللعب تنفتح مداركه وتنمو ملكاته.
- مفهوم آخر عن العمل الجماعي ومفهوم الفريق الجماعي، وأن الآخر يقوي الذات ويزيد مناعتها في مواجهة تحديات الحياة. فالآخر مكمل للذات. وعندما تعي الذات الناشئة هذه المفاهيم فإنها ستكون قادرة على تمثل القيم التربوية من خلال نمو الشعور الجمالي والأخلاقي.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن منظور، محمد بن كرم،1997م، لسان العرب، المجلد 12، ط6، دار صادر، بيروت.

2. جناد، روعة وآخرون، 2018، مشكلات تطبيق المناهج المطورة في سورية وسبل تطويرها من وجهة نظر معلمي الحلقة الأولى (دراسة ميدانية في مدينة اللاذقية)، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة جامعة تشرين، م/40/، ع/ 5/.

3. خليل، حامد،1995، مشكلات فلسفية، ط4، جامعة دمشق، دمشق.

4. الفيروز آبادي، الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005م.

5. شامي، شريفة علي (جمع وتنسيق)، تجارب ناجحة في الإشراف التربوي.__ https://faculty.psau.edu.sa/، تاريخ الدخول إلى الموقع بتاريخ 2020/9/9.

6. الطاغوس، محمد، التفكير النقدي والدور التنويري للتعليم، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، دمشق، تموز 2019 متاح على الرابط: www.dcrs.sy . تاريخ الدخول 7 /6/ 2019م.

7. العباد، عبد الله حمد، التعليم وقيادة التغيرات المجتمعية المعاصرة (سنغافورة– نموذج)، متاح على الرابط: https://fac.ksu.edu.sa/. تاريخ الدخول إلى الموقع 2020/9/9م.

8. العبيدي، سمير عبد الرسول، دور المؤسسات التعليمية في النهضة السنغافورية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية في جامعة المستنصرية، ع/ 38/، بغداد، 2012، متاح على الرابط:www.iasj.net ، تاريخ الدخول 7/6/ 2019م.

9. المعايير الوطنية لمناهج التعليم العام ما قبل الجامعي في الجمهورية العربية السورية، المركز الوطني لتطوير المناهج التربوية، وزارة التربية، دمشق، 2016– 2017م.

العقد الاجتماعي بين الوظيفية والصراعية

مقاربة سوسيو-سياسية بين مفكري عصر التنوير/النهضة و كارل ماركس نموذجاً

إعداد الطالب: محمد إبراهيم علم الاجتماع – كلية الآداب – جامعة دمشق

إشراف الدكتور: أشرف غراف

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة اتجاه المدرسة الوظيفية واتجاه المدرسة الصراعية في علم الاجتماع فيما يتعلق بنظرية العقد الاجتماعي، وقد اتخذت بعض منظريّ عصر النهضة كنموذج للوظيفية و"كارل ماركس" كنموذج للصراعية، في مقاربة سوسيو-سياسية بين الاتجاهين وتوصلت الدراسة إلى أن هنالك فروقا تمثلت بإهمال الوظيفية لكل من التاريخ والتغير الاجتماعي في حين اهتم "ماركس" بالحتمية التاريخية، وركزت الوظيفية على وحدة انساق المجتمع والثبات في حين ركز "ماركس" على مبدأ الصراع ، ايضا تبرر الوظيفية السلطة المطلقة بينما تنكرها المدرسة الصراعية، كما تركز الوظيفية على ضرورة تنازل الفرد عن حريته الشخصية مقابل العقد الاجتماعي مع السلطة التي تحميه ، وركزت الصراعية على وعي الفرد في صناعة العقد الاجتماعي كجزء فاعل ومؤثر فيه

الكلمات المفتاحية: العقد الاجتماعي، نظرية الصراع الاجتماعي، النظرية الوظيفية، مجتمع مدني.

Abstract

This study discusses the directions of the functional school and the trend of the conflicting school in sociology regarding social contract theory. Some of the renaissance theorists have been taken as a model of functionalism and "Karl Marx" as a model of conflicting school. Making a socio-political comparison between the two schools, the study concluded that there are differences between them. For instance, functionalism neglects both history and social change, while "Marx" is concerned with historical determinism. Furthermore, functionalism focused on the unity of social cohesion and stability, while "Marx" focused on the principle of conflict. Moreover, functionalism also justifies absolute power, while the conflict school denies it. Finally, functionalism focuses on the necessity of the individual abdicating of his personal freedom in the social contract where the authority protects the individual, while conflicting school focuses on the individual awareness of his role, as an active and influential person, in forming the social contract.

Key words: Social contract, conflict school, functional school, civil society.

مقدمة

تناول معظم علماء الاجتماع الظاهرة الاجتماعية بالدراسة استنادا إلى البنية الاجتماعية ، وكان بينها اتجاهان في دراسة البنية الاجتماعية هما الوظيفية والصراعية ، وقد كانت المنطلقات التي اتخذها كل عالم أو تيارهي ما تحدد انتمائه للاتجاه ، ولا يمكن النظر إلى تلك المنطلقات أو البواعث بعيدا عن الاتجاه السياسي لبعض المنظرين أو تأثرهم بطبيعة الحكم والأنظمة السائدة وعلاقتهم فيها

يطلق على الاتجاه الأول الاتجاه الوظيفي، ويقصد فيه أن النسق الاجتماعي إنما يؤدي وظيفة تعمل على استدامة بقية الأنساق وانسجامها ، وغلب عليها استخدام مفردات؛ أنساق، انسجام، أداء وظيفة، تضامن وغيرها مما يصف بنية المجتمع كبنية كلية واحدة يساند كل نسق فيها النسق الآخر.

أما الاتجاه الثاني فهو الصراعية التي ترى أن الصراع هو أساس البنية الاجتماعية وهو ما يحدد ملامحها، ولذا غلب على هذا الاتجاه استخدام مصطلحات ، المال، رأس المال، الطبقة الرأسمالية والطبقة الكادحة

في هذه الدراسة تم تناول مفكري عصر النهضة فيما يتعلق بالعقد الاجتماعي و"كارل ماركس" كنموذج للمقاربة ، بحيث تناولوا نشوء الدولة ونظرية الدولة المدنية أو ما سمي في بداياته بالعقد الاجتماعي، فلكل من المدرستين اتجاه معين يوضح الاختلاف بين الوظيفية والصراعية، بمعنى كيف تتأسس الدولة؟ وكيف تنشأ الدولة المدنية التي ترجع لمجموعة من القواعد والأحكام في بنيتها تكون بمثابة عقد اجتماعي بين القاعدة المجتمعية والسلطة، فهي حالة من التنظيم والاتفاق المسبق بين أطراف المعادلة في اتجاه، وقد لا تكون كذلك في اتجاه آخر.

المبحث الأول–الجانب المنهجي للدراسة:

أ- اشكالية الدراسة:

يتناول البحث بالدراسة نظرية العقد الاجتماعي في مقاربة سوسيو–سياسية بين مفكري عصر التنوير الذين تبنوا الاتجاه الوظيفي فيما يخص العقد الاجتماعي وبين المدرسة الصراعية متخذا من كارل ماركس نموذجا، وفي محاولة للتعرف على الاختلاف أو وجود أوجه تشابه بين كلا الاتجاهين، وتهتم المقاربة في بحث التوافق والاختلاف فيما يتعلق بترابط وانسجام النسق الاجتماعي وفي إيجابيته أيضاً، كذلك في النظرة إلى ضرورة السلطة والسلطة المطلقة وحدود تنازل الفرد عن حرياته الخاصة ومدى مساهمته في التغيير، كذلك في الملكية ومدى حتمية التغير ودور الدين فيه.

ب- أهمية البحث

تأتي أهمية البحث العلمية من كونه يتناول أهم اتجاهين في دراسة البناء الاجتماعي والعقد الاجتماعي، فعلى الرغم من مضي عقود على تلك النظريات إلا أنها بوصفها اتجاهات مختلفة لم تزل قائمة حتى اللحظة، فيكاد ينقسم معظم من يتناولون المجتمع المدني أو العقد الاجتماعي بين الصراعية والوظيفية ، وتتمثل أهميته أيضا من احتياج هذا المجال في علم الاجتماع للدراسة النظرية لأنها تتناول واقع المجتمعات السياسية وضرورة الأخذ بنظريات علم الاجتماع فيما يتعلق بالسياسة

ج- مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها:

1. العقد الاجتماعي:

يطلق مفهوم العقد الاجتماعي على جُملة من العادات والتقاليد والمصطلحات التي تتدرج تحت خانة النظرية السياسية، بحيث يمثّل هذا العقد اتفاقاً محدداً بين مجموعة من الأشخاص الذين يساهمون في وضعه وصياغته.(1)

2. الوظيفية:

مدرسة في علم الاجتماع؛ تعني الوظيفية أن كل عنصر من عناصر البناء الاجتماعي يفهم من خلال وظيفته الاجتماعية،وتعني نتائج عمل المجتمع ككل ومن ثمة أن كل جزء من المجتمع له وظيفة واحدة أو أكثر هامة وهي شرط لاستمرار المجتمع وأحد الخصائص الجوهرية للنسق هي التوازن من خلال العلاقات المتبادلة ويسمى هذا النوع بالتوازن الاستاتيكي.(2)

الصراعية:

مدرسة في علم الاجتماع؛ هو مصطلح يشير إلى أطروحات مفادها أن معظم الكيانات المجتمعية تشهد حالة من الصراع الدائم من قبل المنضوين فيها بهدف تعظيم منافعهم، هذه الحالة الصراعية تسهم بشكل أساسي في إحداث حالة حراك و تطور اجتماعي تصل إلى أقصى درجاتها مع قيام التغيرات وما يصاحبها من تطورات سياسية.(3)

1. GOUGH, J. W. **The Social Contract**, Oxford: The Clarendon Press, 1937, Pp2-3.
2. Macionis, John ***Sociology***. Gerber, Linda Marie (7th ed.). Toronto, Canada: Pearson Prentice Hall, (1944–2011), Pp132
3. Haralambos, Holborn, **Sociology: Themes and Perspectives**. Hammersmith: HarperCollins, 1995, Pp 37.

د- الدراسات السابقة:

على الرغم من وجود بعض الأدبيات المتعلقة بالعقد الاجتماعي فيما يتعلق بآراء المفكرين في عصر النهضة عن العقد الاجتماعي، إلا أن موضوع هذه الدراسة يعتبر من الموضوعات التي لم يتم دراستها بشكل متفرد من قبل، وهذا ما حفزني لدراسة هذا الموضوع لعقد المقاربات التحليلية بين النموذجين لكلا المدرستين. من الدراسات التي كانت ذات صلة بالموضوع الحالي:

1- دراسة إبراهيم العبدالله ، 2017 ، دمشق ، سوريا ، بعنوان:

"**العقد الاجتماعي في المجتمع المفتوح عند كارل بوبر**"

هدفت الدّراسة إلى الوصول إلى صياغة تصور لمفهوم العقد الاجتماعي في المجتمع المفتوح عند "كارل بوبر"، وحدود الدور الذي يجب أن تؤديه الدولة في الحياة الاجتماعية، والتعرف إلى مواطن الخلل في هذا المفهوم والتي يمكن أن تؤدي إلى أزمات في الحياة الاجتماعية والسياسية. والتعرف إلى الشكل الأنسب الذي يجب أن يُنظَم عليه الدستور بحيث يلبي متطلبات المجتمع، ومعرفة أهم المبادئ في تحقيق ذلك.

إعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة إلى عدة طرق مكملة كالطريقة التاريخية في دراسة المشكلة.

توصلت الدراسة الى الاستنتاجات التالية:

- إنَّ العقد الاجتماعي "لبوبر" ضمن المجتمع المفتوح يراعي التطورات العصرية من حيث مسائل التعددية والتمثيل النسبي وقضيَّة الأقليِّات التي قد تستغل كنقاط توتر في بعض المجتمعات من قبل أعداءِها لتَقلِبَ حالة الإستقرار عن طريق مسألة الديمقراطية.
- مسألة الحرية هي إحدى أهم المحددات للعقد الاجتماعي عند "بوبر" ضمن مجتمعه المفتوح.
- يقوم مفهوم العقد عند "كارل بوبر" على الموازنة بين الديمقراطية الاجتماعية بأن كلَ شيءٍ للشعب، والديمقراطية السياسية بأن كلَ شيءٍ بالشعب.

2- دراسة أم سعد ياقة ، 2017 ، سبها ، ليبيا ، بعنوان:

"نظريات العقد الاجتماعي" دراسة مقارنة جون لوك، توماس هوبز، جان جاك روسو

هدفت الدراسة التركيز على حياة كل من المفكرين الثلاثة، طبيعة المجتمعات من وجهة نظرهم، فلسفتهم، وانطباعهم عن فكرة العقد الاجتماعي وعقد المقارنات بين أفكارهم.

استخدمت الدراسة المنهج المقارن لعقد المقاربات بين كل من المفكرين الثلاثة.

توصلت الدراسة الى النتائج التالية:

1. الجهود والأفكار التي بذلها كل من المفكرين كانت تختلف من حيث طبيعة السلطات وتكوينها ومصدر استمدادها للسلطة.
2. النظريات والأفكار التي قدمها كل منهم لم تعجب أصحاب النفوذ والسلطة في عهدهم، إذ اعتبروها اختزالاً لسلطتهم، أدوراهم، شخصياتهم وتأثيرهم.

3. كانت أفكارهم ملهمة لكثير من النظريات الفكرية والسياسية، وكانت اساسا للحركات التي قامت في فرنسا وامريكا،
4. ناقشت هذه النظريات لأول مرة الحق الإلهي الذي أستند اليه الملوك في حكمهم لشعبهم.
5. كانت أفكارهم بداية أختمار فكرة الدساتير الحديثة التي تقوم على أساس تمثيل الإرادة الشعبية.

3- دراسة مخطار ديدوش محمد ، 2019 ، جامعة أبو القاسم، الجزائر ، بعنوان:

" نظرية الصراع االجتماعي من منطق كارل ماركس إلى منطق داهرندوف"

تناولت الدراسة نظرية الصراع الاجتماعي حيث ان هذه النظرية ركزت في تحليلها للمجتمع على مفهوم الصراع الطبقي بين طبقة البروليتارية والطبقة البرجوازية باعتباره محرك للتاريخ وعامل تغيير للألوضاع والظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية داخل للمجتمع. ويستمر الباحث في الحديث بأن نظرية الصراع أمتدت بعد ماركس في التطور مع عديد من المفكرين والباحثين، من بينهم المفكر الألملاني رالف داهرندوف الذي يرى أن الصراع يتخذ أشكال وأنواع مختلفة، وأن طبيعته تختلف من مجتمع آخر، كما أنه يحدث نتيجة لعدم االإتفاق حول طريقة تقسيم الموارد المادية التي يتوفر عليها المجتمع.

استخدمت الدراسة المنهج المقارن لمعرفة مدى التشابه والاختلاف بين أفكار ماركس و داهندروف ومدى تأثر الأخير بماركس .

استنتجت الدراسة ما يلي:

- ترى الدراسة بأن داهندروف قد تأثر بماركس، مع ذلك فتأثره لم يكن كليا وإنما بدرجة نسبية، ويظهر ذلك في عدم اتفاقه معه على أن الصراع ليس محصورا بين العمال ومالكي وسائل الإنتاج فقط، وإنما هناك أنواع أخرى من الصراع من بينها الذي يحدث بين ذوي البشرة البيضاء والبشرة السوداء (التمييزا العنصري)، وأيضا بين الآباء والأبناء داخل الأسرة، وبين المدرسين والطلاب في المدارس والجامعات.
- كما يرى أن بعض أفكاره لم تعد تتلاءم مع طبيعة المجتمعات الحديثة التي عرفت تطورا كبيرا مقارنة بالوقت الذي كتب فيه ماركس أفكاره.
- الصراع الطبقي عند كارل ماركس الذي يعتبر في جوهره صراع بين من يملكون وسائل الإنتاج وبين من لا يملكونها. بينما عند داهندروف باعتباره حالة مستمرة ومتواصلة بين الطبقات والأفراد التي ستؤدي لا محالة إلى حالة دائمة من التغيير االجتماعي، إلا أن هذا لا يمنع وجود فترات يسود فيها نوع من الوئام والوفاق التي تضمن بعض الاستقرار الاجتماعي.

التعليق على الدراسات السابقة:

تتناول الدراسات التي تم عرضها محاولات للتوصل الى تحليل للأفكار عن العقد الإجتماعي ومسألة الصراع الاجتماعي عند المفكرين الأوائل وبعض المفكرين الجدد وتتناول الفرق بينها تارة، ومناقشة ونقد فكر أحدهم تارة أخرى، بلإضافة الى محاولة الوصول الى استنتاجات حول تطور هذه الأفكار ومدى جدواها وقابلية تنفيذها، غير أن هذه الدراسة الحالية سوف تقوم بعقد المقاربات من ناحية العقد الاجتماعي بين مدرستين غالبا ما نُظر اليهما بأنهما رد فعل على الأخرى، وتتناولان المواضيع من زوايا مختلفة طبقاً لرؤى منظريها من جهة والمبادئ الخاصة بها من جهة أخرى.

د- منهج البحث:

تم استخدام المنهج التحليلي النقدي والمنهج التاريخي في هذه الدراسة من خلال أدوات التحليل والوصف الناقد، وذلك للوصول إلى تصورات وتحليلات دقيقة لكل من المدرستين.

وستكون مادة الدراسة الأساسية بعض أعمال "مفكري عصر النهضة" و"ماركس" إضافة إلى أعمال أخرى تم فيها مناقشة مسألة العقد الإجتماعي وتطوره.

المبحث الثاني: الجانب النظري والتحليلي للبحث:

أولاً- مفهوم العقد الاجتماعي:

أ- مفهوم العقد الاجتماعي تاريخيا:

يطلق على عصر الفلاسفة ومفكري علم الاجتماع الأوائل الذين تناولوا مفهوم العقد الاجتماعي عصر التنوير، وقد اتفق هؤلاء على مقولة أن الأفراد لا بد وأن يتراضوا فيما بينهم على ميثاق اجتماعي صريح أو ضمني، علني أو صامت، ومن خلاله يتم التنازل عن بعض حقوقهم أو كلها لصالح المجتمع العام لديه إرادة كلية ويمتلك نوعا من السيادة على الجميع ، هذه الإرادة تتمثل بمجموعة الأعراف والعادات والتقاليد والقوانين التي تسنها، ومن خلالها يتم توزيع الحقوق والواجبات، وقد اتخذ هؤلاء أيضا من الميل نحو السلام المجتمعي والتعاون الذي يصب في صالح الجماعة مرتكزا في مناقشتهم العقد الاجتماعي ، فالمجتمع المدني ذو الكيان السياسي تسود فيه الحقوق الاجتماعية مكان الحقوق الفردية، وتوزع فيه الحقوق باتفاق مجتمعي بدلا من وضع اليد بالغريزة والمنفعة الخاصة التي قد تؤدي إلى صراعات ونزاعات مجتمعية " ويمكن قراءة موقف الأوائل برغبتهم في منع الأفراد من السيطرة على غيرهم من الأفراد من خلال موازنة الآثار الإيجابية والسلبية للتنظيم المجتمعي

، وقد اتضح ذلك لدى كل من "لوك" و"هوبز" و"روسو" و"جيزو"، حيث كان التركيز على المصالح العليا للمجتمع من خلال التأثير على النزعة الفردية ومنعها من التسبب بما يهدد الأمن المجتمعي، وقد أوضح هوبز ذلك من خلال قوله بأن جميع القوى السياسية والشرعية يجب أن تكون بقبول الشعب ، مع وجود قوانين تحدد ما يصح ولا يصح فعله(1) فالأوائل كانوا قد تأثروا بالنظرة الشمولية للمجتمع وجعلوا من الفرد أداة السلم المجتمعي في تنازله عن حقوقه الطبيعية مقابل حقوق عامة يفرضها تنظيم سياسي يتخذ صفة السيادة، غير أنهم اختلفوا أيضا في جزئيات العقد الاجتماعي وفي المنظور الذي ارتكز إليه كل منهم للسلطة فقد احتلف هوبز على سبيل المثال مع "لوك حول السلطة المطلقة وكان يرى أنه من حق الفرد مقاومة السلطة الغاشمة(2).

ب- أهم علماء عصر التنوير

1- توماس هوبز Thomas Hobes (1588-1679)

يعد "هوبز" من أوائل الذين تحدثوا بالعقد الاجتماعي، فهو يرى أن العقد الاجتماعي يلزم الأفراد بالتنازل عن حقوقهم المطلقة وحريتهم وملكيتهم لصالح الحاكم وصالح السيادة، والسلطة المطلقة، وهذه السلطة هي التي تحدد حقوق الرعايا من خلال القوانين، ويرى هوبز أن الانسان في مرحلة ما قبل نشوء المجتمعات الخاضعة للسلطة كان الإنسان محتكم للمصلحة الذاتية مع وجود مصادر محدودة مما يجعل الحياة أصعب في غياب سلطة تحدد للافراد حقوقهم وتجبرهم على التعاون، فيسود فيها المخاوف وقد أطلق عليها المرحلة الهمجية، وهي أسوأ ظرف قد يعيش فيه الإنسان،

1. Manent, Pirre, **An Intellecutual History Of Liberalism**, Princeton University Press, 1994, P.p19.
2. Riley, Patrick, **The Social Contract and Its Critics**, chapter 12 in The Cambridge History of Eighteenth-Century Political Thought, Vol 4 of The Cambridge History of Political Thought (Cambridge University Press, 2006), pp. 75.

ويبين أن الخروج من تلك المشكلة لا تكون إلا بوجود إتفاق على العيش في ضل قوانين مشتركة، وتكون آلية فرض القوانين المنظمة لحياة الأفراد عن طريق سلطة حاكمة ومطلقة، ورغم ابدائه مساوئ محتملة للسلطة المطلقة إلا أنه يراها أفضل من حالة الهمجية التي تعم المجتمع دون عقد اجتماعي وسلطة حاكمة.(1)

2- جون لوك John locke (1632- 1704)

تتشابه طروحات ومنهجية "لوك" مع "هوبز" غير أنه اختلف معه في نظرته للسلطة وفي أن القوانين الاجتماعية تحوي أسسا أخلاقية، كان لـ "لوك" دورا كبيرا في السياسة، فهو يرى أن دور الحكومة يقتصر فقط على صيانة الملكية ، وإن الشعب في حل من أمره إن أراد تغيير السلطة إذا أسرفت في في استخدامها صلاحياتها، وهددت حرية الفرد وممتلكاته، وفي رؤيته للعقد الاجتماعي يقر بأن الشعب لا بد وأن يحكم من قبل سلطة ذات سيادة وقوة فحتى طغيانها يكون أقل ضررا من طغيان الأفراد بلا روادع أو قوانين ، فالحق الفردي هو ما يرغب فيه الفرد دون أن يضر بمصالح الجماعة، كان لوك غير ميال إلى فكرة وجود الله والإيمان به بالفطرة ، بل افترض أن الايمان والنزوع نحو الدين ما هو إلا تراث اجتماعي يختلف بحسب الزمان والمكان و"إن أسس الحكومة ومبادئها تقوم ضرورة على أصل الملكية،وكل سلطة على الأرض مستمدة من السلطة الأبوية، إذ ليس ثمة مصدر آخر للسلطة (2)

1. Manent, Pirre, **An Intellecutual History Of Liberalism**, Princeton University Press, 1994, P.p20-38.

2. لوك، جون، **في الحكم المدني**، تعريب ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، 1959، ص 61.

فقد ذهب لوك كما ذهب فليمر إلى افتراض استمداد السلطة من الآباء ومن آدم ومن الله، كان لوك أول من قال بفصل السلطات التي استحدثت "التنفيذية، التشريعية والقضائية"، وكان صاحب فكرة الحكومة البرلمانية بمعنى أن خلاصة أفكاره لم تزل مؤثرة في شكل المجتمع والسلطة حتى وقتنا هذا(1).

اختلف "لوك" عن هوبز في أنه لا يقر بتنازل الفرد عن حقوقه الطبيعية ، بل هو يعترف ويكون اعترافه متبادلا مع غيره، ليضمن حفظ الحياة والحريات والممتلكات لايتضمن أي تنازل عن الحقوق الطبيعية، بل إنه مجرد اعتراف متبادل بها، اعتراف كل فرد لكل فرد، بما يضمن حفظ الحياة وتحقيق المساواة وحماية الحريات، وتكون السلطة الحاكمة مستخدم ينتدبه الشعب لأداء المهمة وتحاسب في حال التقصير

3- ديفيد هيوم David Hume (1711-1776)

يرى "هيوم" أن فكرة العقد الاجتماعي تأتي بشكل ضمني ، فلا يوجد هنالك ما يلزم الرجال باتباع القضاة لأنهم أصلا ملزمون بذلك، وهذا الإلزام يتخذ صفة الأخلاقية، فوجودنا داخل مجتمع يلزمنا باتباع قوانينه،ولسنا بحاجة إلى نظرية العقد، "لأن إيماننا هو أن الحكومات تعمل في مصلحتنا، وبالتالي فإن الناس سيدعمونها باستمرار، وبغير ذلك لن تصمد التزاماتنا الأخلاقية". (2)

1. Gaba, Jeffery, "**John Locke and the Meaning of the Takings Clause**" Missouri Law Review, article 3, 2007, Pp 43.

2. HUME, David, **A Treatise of Human nature**, the clarendon press, Oxford, 1739, P.p60

كما أنكر "هيوم" وجود الأديان أو أنها كانت السبب في الضبط الاجتماعي ودعا إلى استخدام التجربة العلمية في قياس ودراسة الظاهرة الاجتماعية بعيدا عن المعتقدات العاطفية، وقد تأثر "هيوم" بـ "لوك"، و"جوزيف بتلر Joseph Butler (1692 – 1752 م)"، وبمفكرين انجليز واسكتلنديين مثل "إسحاق نيوتن Isaac Newton (1642 – 1727 م)" و"آدم سميث Adam Smith (1723– 1790م)"، وجاءت فلسفته لتنكر التأمل الفلسفي وتقر بوجود الخبرة في العقل فقط، إذ يرى أن الدولة تكونت نتيجة التطور الطبيعي والتدريجي، وليست نتاج اتفاق اجتماعي، وأن هذا التطور يتبع الغريزة أيضا، ففي حين وصف بعض المفكرين الغريزة بأنها نزعة نحو التملك بأنانية ومحرض للاعتداء على حقوق الآخرين، نظر إليها هيوم من منطلق آخر بافتراضها الداعية تلقائيا لتأسيس العقد الاجتماعي دونما اتفاق صريح، فالعدالة والملكية الخاصة وحفظ الحقوق تأتي من غرائز وحاجات بشرية ولذا كان الاتفاق التلقائي الطبيعي بين الأفراد.

4- إيمانويل كانت Immanuel kant (1724 -1804)

يرى "كانت" أن فكرة العقد الاجتماعي تتأتى من حيث أهميتها في توحيد الناس وحين تنافس حرية الفرد حرية فرد آخر ، والعقد عبارة عن ميثاق ينظم الحاكم والمحكوم وفيه اشتراطات يقرانها لبناء حياة تصلح للجماعات والمجتمع المدني، \عرف كانت الدولة"بأنها اتحاد البشر تحت سقف واحد هو سقف القانون، فلدولة تجبل على القانون وتنبثق منه. (1)

1. STRAUSS, LEO AND CROPSEY, JOSEPH CROPSEY, **History of Political Philosophy**, The University Of Chicago, 1987, , p,p581.

5- جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau (1712 – 1787)

كان لدى روسو وجهة نظره الخاصة فيما يتعلق بالعقد الاجتماعي ، بحيث وصفه بأنه أداة لا غنى عنها لتوحيد الناس ، ويتفق مع لوك في ضرورة تنازل الفرد عن حريته الطبيعية ويضفي على هذه الحالة وصفا يمنحها الوهمية بحيث يكون التنازل بمعنى التحول إلى الحالة الاجتماعية، والتركيز على وجود هيئة تمارس السلطة المطلقة من خلال القوانين والقواعد، ويعول على دور الجمعيات الأهلية في ضبط السلطة عن التغول، وقد أكد على ضرورة "الخضوع لقوانين الدولة فيما يتعلق بقوانين الطبيعة والاعتراف بالقوة التي شكلت الدولة، وأن الانقياد هو سبب السعادة فيما يخص التابعين للسلطة (1)

إن ما يمكن ملاحظته على رواد الفلاسفة الذين تناولوا نظرية العقد الاجتماعي هو أنهم انطلقوا جميعا من الأهمية الأمنية والمجتمعية المترتبة عن وجود العقد الاجتماعي الذي يميز الحاكم عن المحكوم ويضع القوانين الاجتماعية والمعيارية الخاصة، وقد يكون تأثر بعضهم بالظرف السياسي آنذاك أو علاقة البعض بالأنظمة سببا في جعل جل نظرياتهم تصب باتجاه تناغم النسق الاجتماعي وانسجامه واستبعاد كل ما يعمل على ضعضعته، فقد تكون هنالك اختلافات في المنطلقات وفي التفسير إلا أن ما يجمعهم هو تركيزهم على وجود سلطة وقيادة عليا يخضع لها العامة من أجل حفظ الحقوق وعدم تغول الإنسان ، إذ أن تغول السلطة قد يكون من السهل معالجته في حين أن تغول الانسان وميله تجاه نزعته الخاصة قد يتسبب بإخلال في الحقوق والملكية

1. Rousseau, Jean-Jacques, **The Social Contract**, Jonathan Bennett, 2017, Pp19.

ج- تطور مفهوم العقد الاجتماعي إلى المجتمع المدني

يعرف المجتمع المدني بأنه المجتمع الذي تكونت مؤسساته وجمعياته الحضرية(1) فقد اتخذ مفهوم العقد الاجتماعي مسمى آخر مع تطور المجتمعات فأصبح يطلق مسمى المجتمع المدني بدلا من العقد الاجتماعي، وتطور المفهوم بعد الحرب العالمية الثانية على يد "أنطونيو غرامشي" فظهر مفهوم الديموقراطية من خلال طرحة لمصطلح البنية التحتية والبنية الفوقية للمجتمع التي تعيش عملية جدلية حية وفقا لمبدأ المعاملة بالمثل وتكون العلاقة بينهما عرضة للتعديل، فقد تناول بعض علماء الاجتماع والمفكرين مفهوم المجتمع المدني في القرنين الثامن والتاسع عشر في محاولات الفلاسفة الكلاسيكيين في تعريف العقد الاجتماعي وإبراز أهميته في حفظ الحقوق والتركيز على السلطة أو النخبة التي تحدد القوانين، وبدأ مفهوم المجتمع المدني في ظهورحديث آخر باستبدال مفهوم العقد الاجتماعي مع نهاية الحرب العالمية الأولى وبداية الحرب العالمية الثانية.

د- كارل ماركس والمجتمع المدني 1818-1883

يورد "ماركس" في مؤلفه "رأس المال": "القضية بحد ذاتها لا تنحصر هنا في هذه الدرجة من تطور التناحرات الاجتماعية الناجمة عن القوانين الطبيعية للإنتاج الرأسمالي، بل إنها تنحصر في هذه القوانين ذاتها، في هذه الميول التي يسري مفعولها وتتحقق بضرورة من حديد".(2)

---

1. Heywood, Andrew. **Key Concepts In politics** . Basingstoke , England: Palgrave, 2000, P.17

2. ماركس، كارل، **رأس المال**،دار التقدم ، موسكو، ج1، فصل 1-13 ، 1985، ص 13.

فقد تصور ماركس الجوهر الإنساني على أنه العلاقات الاجتماعية وأن الاستمرار بسياسة الاستغلال والقوانين التي تعزز الطبقية ستؤدي بشكل أو بآخر إلى شعور الفرد بالاغتراب، بمعنى أن النذر الفردي وانصهار الفرد في الجماعة ووجود مؤسسات وسيطة بين الفرد والسلطة يعمل على الاغتراب النفسي من جانب ويعمل على ازدياد فرصة الصراع الطبقي والتمايز الطبقي، فهو يرى أن المجتمع المدني هو الواقع المتميز، والمتبدل والمتنوع، وهو الذات المتطورة مع التاريخ ويؤثر في شكل الدولة وأنظمتها، فلا يوجد لديه ما يسمى جماعات طوعية أو متوسطة، ويرى ماركس أن المجتمع المدني ظاهرة تاريخية تشكلت في سياق تطور البرجوازية، فهو يرى أن العالم الخارجي من صنع الإنسان، وكذلك العلاقات التي تكون بين أفراد المجتمع هي من صنع الإنسان، إذ لا يؤمن ولا يقر بوجود سلطة فوقية يفرضها المجتمع، فموضوعية الطبيعة لا تعني استقلالها عن إرادة الإنسان، وفي هذا السياق يرفض انسياق الإنسان بكليته للمجتمع ويرى أن السلطة المطلقة تؤدي إلى نشوء الطبقية واتساع الهوة بين من يملك ومن لا يملك، فالمجتمع المدني لديه هو محرض الصراع الطبقي، فقد تحدث عن البنية الفوقية والبنية التحتية أو ما أطلق عليه المادية التاريخية بدلا من المجتمع المدني وكذلك عن الطبقات، فقد تناول المجتمع المدني بوصفه مفهوماً يصور مجمل الحياة المادية، وأنه أداة في يد الدولة يعبر عن مصالح طبقية تجسدها الدولة للتنافس والصراع. (1)

ولم يتخل ماركس عن مقولته في الاغتراب إذ يرى أن الفرد حتى في الدول التي تتمتع بدرجة من الحرية يشعر فيها الفرد باغتراب نتيجة تحكم رأس المال الذي يصبح سيدا ويصبح فيه الانسان عبدا لرأس المال، كذلك ينظر ماركس إلى النخبة أو السلطة الحاكمة بافتراضها ممثلة لمصالح خاصة لفئة معينة ويسيطر فيها الرأسماليون على المجتمع.

1. زغطوط، كلثوم، **مفهوم المجتمع المدني بين التأصيل النظري ومشكلة المرجعية**، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد33 ،2018، ص 47.

انتقد "ماركس" المفكرين الذين ارتكزوا على قوة الدولة في توثيق معنى المجتمع المدني وقد انتقد "هيجل" في ذلك، غذ يرى أن المجتمع المدني لدى "هيجل" هو المجتمع البرجوازي، أي أن المفكرين اختزلوا الجانب السياسي بالجانب الاقتصادي وفي تبرير ابتلاع الدولة وهيمنة الدولة للمجتمع المدني، ورأى أنه من الضروري عكس العلاقة الجدلية التي وضعها "هيجل"، فقد ركز"ماركس" في"أطروحات فيورباخ" على إزالة الاغتراب بالإقرار أن الدولة تمثل شكلاً مستقلاً متميزاً عن المصالح الخاصة، والعامة الحقيقية وكمجموعة وهمية، وأن الصراع بين الديموقراطية والارستقراطية والملكية سيقود إلى النضال فالصراع صراع طبقي في أساسه.

يعد الوعي لدى كارل ماركس مجموعة من النظريات التي تخص مجتمع ما وليس الفرد، أي أنه وعي الجماهير، ويأتي من خلال ممارستهم النشاط اليومي "العمل" وهو وعي اعتيادي يشمل مجموعة التجارب المتراكمة ومجموعة الأعراف الأخلاقية التي يتعارف عليها مجتمع ما ، والذكريات الشعبية التي توضح الخبرة الحياتية للجماهير طوال سيرتها التاريخية ويتأثر الوعي بسمات الأفراد، وقد كان لانقسام المجتمع وظهور العمل وتطوره أثرا في تطور الوعي فيما يتعلق بواقعهم أو ظروفهم الاجتماعية وبالواقع المحيط بهم، والوعي يعكس جوانب مختلفة من الواقع مثل الأفكار السياسية، الحقوقية، الأيديولوجيا، الأخلاق، العلم، الفن والفلسفة، فالعلاقات المادية بين الناس تعد أساس التطور الاجتماعي، فللجانب الاقتصادي بجانب الوعي الأهمية الكبرى في توجيه آراء الناس وتشكيل اتجاهاتهم، حيث إن الوعي الاجتماعي هو مجموع "الأفكار، الآراء، النظريات الاجتماعية، العواطف، العادات والتقاليد، التي يعكسها واقع اجتماعي محدد، فالوجود الاجتماعي يعكس الوعي الاجتماعي(1)،

1. محمد، شحاته، **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة**، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص 122.

ويعد الوعي الاجتماعي والوجود الاجتماعي أساس نظرية كارل ماركس فيرى أن أي مجتمع ينقسم إلى جزأين، الأول البنية التحتية أو السلطة، والثاني البنية الفوقية او العلوية، والعلاقة بينهما جدلية ، فالبنية التحتية تحدد أسلوب الانتاج وقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، وبذلك تحدد طبيعة حياة أي مجتمع، والعلاقات المادية هي التي تحدد البنية الاقتصادية لأي مجتمع، فالبناء الفوقي هو نتاج البناء التحتي، وأن أي تغيير في البناء التحتي سيرافقه تغيير في البناء الفوقي، وأن الصراع مستمر وقائم حتى يتمكن المجتمع من إحلال مرحلة الاشتراكية التي ستقضي على الطبقية التي يولدها طبيعة النظام الرأسمالي ثم الوصول إلى المرحلة الشيوعية وهذا الصراع من وجهة نظر كارل مارس حتمي ومستمر في علاقة جدلية.

هـ- ما بين الوظيفية والصراعية؛ استنتاجات:

يمكن التأكيد إن الوظيفة الصورية هي اتجاه لا تاريخي تماماً و كذلك الحال فيما يتصل بالوظيفة التقليدية كما ظهر لدى أوائل المفكرين من حيث اجتماعهم على فكرة أن الدولة لا تقوم وأن العقد الاجتماعي لا يكون إلا بوجود سلطة مطلقة يقابلها تنازل الفرد عن حقوقه الفردية ، إن هذا لا يأتي من قبيل الاتهام الباطل إذن أن نؤكد كما ذهب كثير من النقاد أن التحليل الوظيفي قد يفيد في تفسير أداء النسق و عمله، لكنه يعجز عن تفسير حدوث التغيرات الاجتماعية الكيفية، فدراسة التغيرات التي تطرأ على النسق الاجتماعي تتطلب من بين ما تتطلبه دراسة لتاريخ ذلك النسق، و من المؤسف أن تلك الحقيقة قد أنكرها أتباع الوظيفة أو تجاهلوها، فلا يمكن تفسير الحاضر استنادا على الحاضر، ان مثل

هذا الافتراض يعني أن سلسلة الأحداث الموصلة بين الماضي و الحاضر ليس لها أدنى تأثير على هذا الحاضر،

حيث أن بعض علماء الإجتماع من أصحاب التوجه الوظيفي يشبهون أنفسهم بنظراتهم في العلوم البيولوجية والفيزيائي، و هي مماثلة تنطوي على أخطاء قاتلة فتجاهل التاريخ في دراسة المجتمع الانساني من شأنه أن يحرمنا من دراسة السببية، فالعلماء الاجتماعيين الذين يدرسون البناء الاجتماعي دون دراسة تاريخه لن يتمكنوا ابداً من فهم اي حالة من حالات هذا البناء و لن يتمكنوا من فهم القوى الفاعلة في تغييره فهما حقيقاً.

والحقيقة أنَّ إنكار التاريخ و دوره السببي ينعكس على مصداقية النظرية، فلم يرد ذكر التاريخ كسببية عند "ماركس" أيضاً، غير أنه تحدث عن الحتمية التاريخية، وقد ركز "رواد الوظيفية" على الأهمية للمنهجية للتاريخية، و على الرغم من أن "دوركهايم" وهو من رواد الوظفية، قد نادى في مؤلفه " قواعد المنهج في علم الاجتماع" "بتحليل وظائف الظواهر الاجتماعية في ضوء الأهداف الاجتماعية التي تخدمها" فانه قد ألح أيضاً على أن تفسيراً كافياً و ملائماً للظواهر الاجتماعية يتطلب دراسة تاريخية لكيفية وصول هذه الظواهر لحالتها التي هي عليها، أي تفسيرها في ضوء الظواهر الاجتماعية التي سبقتها(1).

ويمكن تحديد أهم المقاربات السوسيو– سياسية الرئيسية بين الوظيفة التقليدية والصراعية بالآتي:

1. مبالغة الوظيفية في وحدة الأنساق الاجتماعية وترابطها، و استقرارها وانسجامها و تناغمها في حين كان تركيز الصراعية على أن الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات مبعثه صراعي ويحدده رأس المال والملكية.
2. اعتقاد الوظيفية بأن النظم والمؤسسات الاجتماعية كافة ذات طابع ايجابي.

1. دوركايم، أميل، **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، ترجمة: محمود قاسم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988، ص 70-79.

3. في دراسة الأنساق الاجتماعية، في حين لم يكن منظور كارل ماركس بهذه الإيجابية فكان أقرب للواقعية في دراسة دوافع الصراع وطبيعة النفس البشرية والطبيعة الصراعية التي تولدها الطبقية بين من يملكون ومن لا يملكون وبارتكازه على الحتمية التاريخية في الصراع الطبقي.
4. تميل الوظيفية الى فهم النظم القائمة و تقديرها بوصفها نظما ضرورية ولازمة ولا يمكن الاستغناء عنها ، و بما ينطوي عليه من تحيزات محافظة، أما كارل ماركس فلم يرها كذلك ولم ينظر للسلطة بوصفها سابقة على الفرد والمجتمع وأن وعي الفرد هو من ينتج السلطة بالتوافق بعد مرور المجتمع بمرحلة صراع ديالكتيكي، فإذا ما تكدست الثروة بأيدي بعض وعادت الطبقية إلى الظهور فإنه يحق للفرد او مجموعة الأفراد اعلان الثورة عليها وإعادة توزيع الملكية على قاعدة كل حسب حاجته .
5. فشلت الوظيفية في فهم التغير الاجتماعي وهذا قد يكون مبررا من حيث أن دوافع معظم الوظيفيين في دراسة المجتمع كان مرتبطا مع الأنظمة، ولأن ارتكازهم كان على ما تتميز به الأنساق الاجتماعية من انسجام وتناغم واتساق داخلي يحفظ الأمن المجتمعي ويجعل الفرد مطواعاً للسلطة، إذ لا يغلب عمن يبحث في وظيفة الأنساق الاجتماعية وقدرتها على استدامة المجتمع الرغبة في دراسة التغير، فحالة الثبات هي مرتكزهم وليست حالة التغير، في حين ركز كارل ماركس والمدرسة الصراعية على التغير، وعلى دراسة أسبابه ومحرضاته وبافتراضه معبراً عن البنى الفوقية المتعلقة بالثقافة ودرجة الوعي التي تحددها البنى التحتية وهي الاقتصاد.

فكانت نظرية "ماركس" ممثلا للمنظور الصراعي أكثر شمولية ، حيث لم يهمل الفرد على حساب المجتمع، ولم يهمل عوامل تشكيل الوعي الفردي والمجتمعي، فالمجتمع لديه لا

يتسم بحالة من الثبات بل بحالة من التفاعل الدائم والتأثر " وأن الواقع الاجتماعي لا يبقى شيئا جامدا وهو عملية التأثير المتبادل بين الناس والطبيعة وبين مجموعة الأفراد ذاتهم أي أن العلاقات الناجمة عن عملية الإنتاج تحدد حياتهم. (1)

6. إن مفهوم المُلكية وممارسته سلوكيا في المجتمعات من اكثر الظواهر الفرد اجتماعية غير أن النفس البشرية مطبوعة على الانفلات، الانفلات من القيد الذي يمنح الذات شعورها بالاستقلالية والوجود، وهنا لا أقصد التحرر من القيم بل من القيود البشرية ، النفس تتوق للانعتاق، وتكره العبودية، وعلى الرغم من أن مفكري مرحلة التنوير أنكر بعضهم المعتقدات الدينية على خجل وبعضهم جاهر بها وطلب أن يخضع كل ما يعتقده الإنسان للتجربة ونبذوا في الوقت ذاته مرحلة التدين الكنسي المنغلق إلا أنهم بالغوا في الحديث عن السلطة والفئة الحاكمة وبمنحها صلاحيات مطلقة قد تجعل من الأفراد عبيدا، وقد برروا ذلك بالقول أن السلبيات المترتبة عن انتزاع الحرية اقل ضررا من بقاء المجتمع بلا سلطة مطلقة، ولم يكن كارل ماركس خجلا في انكاره فكرة وجود الله وقد حاول تفسير تخوف الفرد من العقاب ومن الله وحتى تفسير رضى الفقير بفقره بافتراضه أمر قدري بإرجاعه إلى رغبة الطبقة الرأسمالية في السيطرة على الممتلكات منفردة، وقد عبر عن فكرة العبد والسيد فيما يخص طبقة الاقطاعيين وطبقة العمال الكادحين وفي تسيد المال ليصبح الانسان عبدا له فيقع تحت وطأة الاغتراب .

هذا القيد الذي تتقبله النفس والروح والعقل، أراد كارل ماركس تخليص الشعوب منه كي يزيل لديهم حاجز الخوف من مقاومة السلطة المستبدة ..

1. زغطوط، كلثوم، **مفهوم المجتمع المدني بين التأصيل النظري ومشكلة المرجعية**، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد33 ،2018، ص115.

دخلت الشعوب الحديثة الدين أو الأديان كنوع من التقليد مع ما تزامن مع التقليد من حركات بين تشدد وانفتاح ، فيولد الانسان ليجد نفسه منتمي إلى دين او طائفة ما فيحدد معبوده الافتراضي او غير المرئي الذي يُفترض أن يسكن الروح، هو لم يُخير فيمن يعبد أو كيف يعبد ، وفي التنشئة الاجتماعية يجد ألف وسيلة لإقناعه او لإكراهه على ممارسة الطقوس التي تثبت انه عابد، وأنه منتمي لدين الجماعة الخاصة به، هو يؤمن بالله في طفولته ويعبده ويتعلم كيف يعبده، غير أن هذا التعلم لا يخلو أو لم يخل في فترة سابقة من نوع من أنواع التقريع والتخويف والعقاب الدنيوي وهذا ما عبر عنه كارل ماركس بقوله"لا إله والحياة مادة".

فهو كان يرغب في تخليص الشعوب من حالة الاستلاب تحت غطاء الأديان، ويفقد لأن الاستلاب ومواصلة الكنيسة حينها اقناع الناس بأن الأرزاق مقسومة مسبقا يعمل على التمايز الطبقي واستمراره

ولعل من عوارض او آثار اختلال التوازن هو أن يسلم الشخص مسبقا بأحقية الآخرين في ملكيته، فنجد نمط الشخصية المُستلبَة والانسحابية التي تجيد تقبل التسلط وتتكيف معه بل وتجمله احيانا، هذا النوع من الخنوع ينسجم وظيفيا مع ما جاء به الوظيفيون ويتناقض مع فكر "ماركس" ونظرته للصراع الاجتماعي فما كان يخشاه هو أن يتحول الشخص المتحكم برأس المال دون أن يشعر الى نمط شخصية المُمتلِك والمُمارِس للسلطة وأحيانا التسلط ، فيمارس سلوك وتجليات الملكية في كل سلوكياته وفي كل توجهاته ويجد من يذعن أيضا لذلك فيكون ثراء فئة على حساب إفقار فئة.

7- تختلف كل من الطوعية والإجبار لدى كلا المدرستين، ففي حين ترى الوظيفية أن الفرد يدخل في العقد الاجتماعي مجبرا بفعل حاجته لحفظ حقوقه وعليه أن يقر بتسليم السلطة لفئة حاكمة، يرى ماركس أن الوعي هو من يشكل المجتمع المدني وهو من يتحكم فيمن يكون الحاكم وهو المعني بتسليم السلطة وأن دور السلطة لا يكون مطلقا. (1)

و- خلاصة مكثفة:

تعددت آراء علماء الاجتماع حول العقد الاجتماعي، وقد تم تناوله مما قبل عصر التنوير وقبل "هوبز وروسو ولوك و ماركس، غير أنه كان يتخذ مسميات أخرى كالعمران البشري لدى ابن خلدون والمدينة الفاضلة لدى أفلاطون ، إلا أنه بين علماء الاجتماع ومفكريه بدءا من عصر التنوير اتخذ من البنية الاجتماعية مرتكزا وظهرت فيه آراء متنوعة ، فلا نكاد نجد عالمين اتفقا بشكل تام على تعريف العقد وخطواته وآلية نشوءه وتطوره وإن كان بعضهم قد تأثر ببعض، إلا أن الاختلاف كان واضحا بين المدرسة الوظيفية والمدرسة الصراعية وقد اتخذ البحث من المفكرين الأوائل نموذجا تحدث عن العقد الاجتماعي بصورته الأولية من منطلق وظيفي نموذجا ليقارن مع نموذج كارل ماركس كأحد أكبر مفكري المدرسة الصراعية وقد خلص البحث إلى وجود عدة فروق تمثلت بإهمال الوظيفية لكل من التاريخ والتغير الاجتماعي، في حين اهتم ماركس بالحتمية التاريخية والتغير الحتمي، فيما ركزت المدرسة الوظيفية على وحدة أنساق المجتمع وانسجامها ونظرت إلى المجتمع بحالة من الثبات والإيجابية بينما قامت نظريات كارل ماركس والصراعية على مبدأ أن الصراع الطبقي الذي يتبع البنى التحتية وتكدس رأس المال في أيدي فئة ، كذلك بررت المدرسة الوظيفية السلطة المطلقة بأنها تحفظ حقوق الأفراد في الوقت الذي أنكرها كارل ماركس ودعا الى اشتراكية المال والسلطة، كما ابتعدت الوظيفية عن مناقشة الدين أو اختلفت في طرحها عما طرحه كارل ماركس، فبعض الوظيفيين أنكر وجود الله غير أن التفسير كان مختلفاً،

1. Harrison, Ross , **Hobbes, Locke, and Confusion's Masterpiece** Cambridge University Press King's College, Cambridge, 2002, Pp70.

فقد رأى كارل ماركس أن فكرة ربط الشعوب بالدين إنما يأتي من السلطة الحاكمة كي تبرر الطبقية على أنها قدر محتوم.

كذلك اتسمت الوظيفية بالمحافظة والرغبة في تثبيت أواصر السلطة الحاكمة بمقابل تنازل الأفراد عن حريتهم الخاصة من أجل سلم المجتمع، وهذا ما لم يأخذ حيزا في فكر كارل ماركس بل كان على النقيض من ذلك، يرى أن الفرد وعن طريق الوعي هو من يحدد كيف يكون عليه الظرف المجتمعي العام وهو من يختار من يدير شؤونه وله الحق في التخلص من أي قوة أو سلطة غاشمة أو لا تراعي التساوي بين الأفراد وتعمل على تعزيز الطبقية وتكدس رأس المال.

المراجع باللغة العربية:

1- لوك، جون، **في الحكم المدني**، تعريب ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت،1959.

2. ماركس، كارل، **رأس المال**، دار التقدم ، موسكو، ج1، فصل 1-13 ، 1985.
3. زغطوط، كلثوم، **مفهوم المجتمع المدني بين التأصيل النظري ومشكلة المرجعية**، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد33 ،2018.
4. محمد، شحاته، **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة**، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
5. دوركايم، أميل، **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، ترجمة: محمود قاسم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988.
6. أتالي، جاك، **كارل ماركس**، ترجمة محمد صبح، ط1، دار كنعان، دمشق،، 2005.

المراجع بالانجليزية

7. GOUGH, J. W. **The Social Contract**, Oxford: The Clarendon Press, 1937.
8. Macionis, John, **Sociology**. Gerber, Linda Marie (7th ed.). Toronto, Canada: Pearson Prentice Hall, (1944–2011).
9. Haralambos, Holborn, **Sociology: Themes and Perspectives**. Hammersmith: HarperCollins, 1995.
10. STRAUSS, LEO AND CROPSEY, JOSEPH CROPSEY, **History of Political Philosophy**, The University Of Chicago, 1987.

11. HUME, David, **A Treatise of Human nature**, the clarendon press, Oxford, 1739.

12. Manent, Pirre, **An Intellectual History Of Liberalism**, Princeton University Press, 1994.

13. Riley, Patrick, **The Social Contract and Its Critics**, chapter 12 in The Cambridge History of Eighteenth-Century Political Thought, Vol 4 of The Cambridge History of Political Thought (Cambridge University Press, 2006.

14. Rousseau, Jean-Jacques, **The Social Contract**, Jonathan Bennett, 2017.

15. Harrison, Ross , **Hobbes, Locke, and Confusion's Masterpiece** Cambridge University Press King's College, Cambridge, 2002.

16. Gaba, Jeffery, "**John Locke and the Meaning of the Takings Clause**" Missouri Law Review, article 3, 2007,

17. Heywood, Andrew. **Key Concepts In politics** . Basingstoke , England: Palgrave, 2000.

العبيد وثورة سبارتاكوس 73 – 71 ق.م

طالب الدراسات العليا: محمد نزار عبود

قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق

اشراف الدكتور: جهاد عبود

الملخص

يعطي البحث لمحة عن حياة العبيد وأعمالهم ومصادرهم وأسواقهم وأسعارهم وكيف يتم تحديدها، إضافة إلى الحديث عن ثورة العبيد المجالدين من خلال مقدماتها وأسبابها وأحداثها ونهايتها وما نتج عنها من نتائج لصالح العبيد وأيضاً نتائجها على الحياة السياسية الرومانية.

والحديث عن سبارتاكوس الذي ناضل من أجل الحرية وشجع رفاقه على تحطيم الأغلال، وبراعته في التنظيم وقدرته على تكوين جيش من الأفراد غير المنظمين، استطاع أن يلحق الهزائم بالجيوش الرومانية إلى أن دبت التفرقة بين رجاله فقدم حياته تضحية في سبيل الحرية.

الكلمات المفتاحية: سبارتاكوس– بومبي – كراسوس– الرومان– ثورة العبيد– أسعار العبيد – مصادر العبيد.

Slaves and Spartacus Revolt 73-71 BC. M

Prepare

Mohammed Nezar Aboud

Damascus University - College of Arts and Humanities - Department of History

Abstract

The research gives a glimpse into the lives of slaves, their work, their sources, their markets, their prices, and how they are determined, in addition to talking about the revolution of the gladiatorial slaves through its introductions, causes, events and end and the results that resulted in favor of slaves, as well as its consequences on Romanian political life.

Talking about Spartacus, who fought for freedom and encouraged his comrades to break chains, his skill in organizing and his ability to form an army of unorganized individuals, he was able to inflict defeats on the Roman armies until separation broke out among his men, so he offered his life as a sacrifice for the sake of freedom.

Key words: Spartacus - Pompey - Crassus - the Romans - slave revolt - slave prices - slave sources.

أولا – مقدمة:

إن وجود العبيد في روما، قديم يعود إلى الفترة الأتروسكية، حيث كان هؤلاء العبيد يعملون كخدم في بيوت وقصور أسيادهم أو في المناجم، أو في الريف، إن الرسوم الجنائزية التي اكتشفت في أغلب القبور الأتروسكية، تصور العديد من هؤلاء العبيد من نساء ورجال في أوضاع مختلفة يقومون بخدمة أسيادهم في البيوت في التعليم والقصور والمناجم والمزارع ورعي الحيوانات...

كما أن الأسرة الرومانية كانت تفقد هيبتها الأساسية من دون العبيد، وكذلك الكوميديا الرومانية لا يمكن أن تكتب بدون الحديث عن العبيد.

وبما أن الرومان كانوا يحبون الخدمة العسكرية، لذلك اعتمدوا بشكل كبير على العبيد وخاصة أسرى الحروب في تنفيذ أعمالهم .لذلك يعتبر عنصر العبيد من أهم العناصر المؤثرة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، كما أن أصحاب النظرية الاقتصادية حول سقوط روما، يعتبرون أن اضطهاد وظلم العبيد هو من أهم الأسباب التي أدت إلى الثورات ومن ثم إلى سقوط روما.

بينما كانت المخاطر تهدد روما في شرق وغرب البحر الأبيض المتوسط اندلعت ثورة عاتية قادها العبيد المتصارعون (Gladiators) من داخل ايطاليا ذاتها بسبب وضعهم السيء وتدريبهم القاسي، ومصيرهم المؤكد هو الهلاك عاجلاً أم آجلاً.

لقد كانوا يتدربون على التصارع في حلبة تسمى المجلد (Arena) فرشت أرضها بالرمال، حتى يقتل أحدهم الآخر، في جو حماسي من قبل الجماهير وتصفيقهم لهذا العمل الوحشي.

وبسبب كل هذا الازدراء كان قيام العبيد بثورتهم هذه عمليه تحصيل حاصل، حيث ان الرومان آنذاك قد جردوا العبيد من انسانيتهم ومن كافه حقوقهم وقد عدوهم سلعة تشترى وتباع.

– أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على واقع حياة العبيد في تفاصيلها، وعن ثورتهم وما نتج عن هذه الثورة من كونها دقت ناقوس الخطر، حيث حفزت الكثير من ملاك الأراضي على أن يفتحوا صفحة جديدة من حيث تحسين معاملة العبيد، كما أظهرت هذه الثورة كل من بومبي وكراسوس.

– هدف البحث:

يهدف البحث لإعطاء صورة عن أوضاع عبيد الامبراطورية الرومانية وما هي الأعمال التي يقومون بها وعن حياتهم من حيث لباسهم وغيرها، إضافة لأهم مصادر هؤلاء العبيد، وكيف نشأت بدايات ثورة العبيد وكيف سارت أحداثها وكيف انتهت.

– مشكلة البحث:

تجلت مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

– ما هي أسواق العبيد؟

– كيف كانت تحدد أسعار العبيد؟

– ما هي أهم الأعمال التي كان يقوم بها العبيد؟

– كيف قامت ثورة العبيد، الأسباب والأحداث والنتائج؟

- صعوبات البحث:

لم تكن الصعوبة في جمع المادة العلمية للبحث بندرة المراجع العربية والمعربة منها، بل كانت في ان جميع هذه المراجع تمحورت حول نفس المعلومات إذ أن اغلب المراجع دارت في نفس الدائرة وكان مرورها بالحديث عن اسبارتاكوس ما يشبه مرور الكرام، لعل مدة هذه الثورة قصيرة –من73 – 71ق. م –لم يسمح بأكثر من ذلك، مع أني – شخصياً– أُعجبت بشخص سبارتاكوس.

ثانياً- العرض ويتضمن:

1- أسواق العبيد:

كانت الفتوحات الرومانية ينابيع تدفقت منها على إيطاليا اسرى الحروب الذين كانوا يباعون عبيدا[1]، لذلك أنشئت عدة أسواق تجارية ضخمة لبيع العبيد أهمها:

1- سوق في ميسينيا يقع عند مصبات الرون.

2- سوق في اكيليا يقع على الشاطئ الشمالي للادرياتيك.

3- سوق روما يقع على الرصيف المقدس، عند كعب الكابيتول، وكان هذا السوق لا يغلق ابدا، وكان العبيد متواجدين فيه بشكل دائم ومعروضين للبيع كما تباع الدواب.

4- سوق جزيرة ديلوس والذي يعتبر من اهم الأسواق، يقول استرابون كان يصل عدد العبيد المباعين في هذا السوق في يوم واحد الى عشرة آلاف عبد[2].

2 – أسعار العبيد:

لقد تفاوتت سعر الرقيق بتفاوت درجة رقه، و تغيير ظروف العرض والطلب وليس من السهل تقدير الأسعار التي دونها ((بلاوتس _ Plautus))، كما يعصب التثبت من صحة ما جاء بالأدب اللاتيني. فإن ((كولوميلة _ colomella)) يعتبر ان 8000 سستركة هو سعر عادل لرقيق يجيد تقليم الكرمة[3].

[1] براستد، جامس هنري: العصور القديمة ، ترجمة داود قربان، بيروت،1983؛ ص548.
[2] ف. ديكاكوف، س كوفاليف: الحضارات القديقة،ج2،ترجمة نسيم اليازجي، دمشق، 1959، ص517.
[3] الشاذلي، بورينه- محمد، طاهر: قرطاج اليونانية تاريخ وحضارة، تونس، 1999، ص818.

لقد كان للعبيد أسعار مختلفة فمثلاً:

- العبد المخصص للأعمال العسيرة او الكثيرة يصل سعر 2000سسترس
- العبد المتعلم سعره 8000سسترس
- العبد الطباخ يصل سعره 10000 سسترس.

3- لباس العبيد:

كان العبد يستلم كنزة لعام كامل ومعطف قصير لعامين، اما ثيابهم الرثة فيصنون منها اغطيتهم، كما يسلم العبد قبقابا خشبيا لمدة عامين.

يقول المؤرخ ديودوروس كان اغلب العبيد في سوق سيسيليا مضطرين لسرقة غذائهم وثيابهم[1].

4 - أهم الأعمال التي كان يعمل بها العبيد:

لقد كان العبيد خاضعين لاستغلالٍ لا يرحم، حيث كانوا يعملون في المناجم، والمقالع، وفي الصناعة، في الزيوت، في الطواحين، في الأفران، في ورشات السيراميك، في النسيج، في تجارة الطحين، ومما يدل على ذلك حالة أولئك العبيد الذين يعملون في طاحونة، فهم شاحبو الوجوه[2].

أما عمال المناجم فيقول ديودوروس :لا يرتاح العبيد، ويعملون طوال اليوم تحت الضرب حتى يقع العبد على الأرض .وكان الضرب يتم بقبضات اليد على الوجه مباشرة، لذلك نجد كثيراً ما كان هذا الضرب يؤدي إلى قلع أسنان أو عين العبد، وأحياناً يضرب العبد

[1] نصحي، إبراهيم: تاريخ الرومان من اقدم العصور حتى عام 133 ق.م، القاهرة، د.ت، ص62.
[2] ول ديورانت: قصة الحضارة، مجلد ٣، الجزء الثاني، ترجمة محمد بدران ،القاهرة ،1971، ص239.

بالعصي والسياط . أما العبد الذي يسرق فكانوا يحرقون يديه بالحديد المحمى بالنار حتى الإحمرار. أما العبد الثرثار فيكوى لسانه بالحديد المحمى بالنار حتى الإحمرار.

أما العبيد الذين يهربون والسيئون والأقل طاعة، فكانوا يقيدون بسلاسل حديدية، ويوضعون في سراديب، أما أعمالهم فكانت شاقة لاسيما تدوير حجر الرحى أو في المقالع وأحياناً كانوا يصلبون[1].

أيضاً لم تكن حياة العبيد في الزراعة والأعمال الأخرى، أرقى من حياة البهائم، لقد كانوا يكوون بمياسم محماة بالنار، فيبقى الوسم علامة أبدية يعرفون من خلالها .وكان سادتهم يضعونهم ليلاً في ثُكن، وفي النهار يساقون إلى الحقل كدواب الحمل ليعملوا فيها، لذلك عمل العبيد في ظروف صعبة وسيئة، ويمكننا أن نلمس المعاملة السيئة التي لقيها عبيد المنازل، إذا علمنا أن أحد السادة الرومان كان يصر على أن يقف خدمه حول المائدة صامتين، وكان يعاقب كل من يعطس منهم بالجلد[2].

ولأجل هذا الظلم، وهذه المعاملة السيئة الوحشية التي كان العبيد يعاملون بها قامت ثورات العبيد في أنحاء مختلفة من إيطاليا. هذه الثورات انطلقت لأجل الحرية الاجتماعية مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد، بسبب تنامي أو ازدياد الضغط على اليد العاملة للعبيد، لذلك أخذت حركة الرقيق طابع التمردات المحلية، حيث اشترك فيها ألوف العبيد، ولكن في أفق إقليمي محدود[3].

[1] ف. دياكوف، س. كوفاليف، ج ٢، المرجع السابق، ص519.
[2] محمود محمد الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٧.
[3] براستد، جامس هنري: المرجع السابق ،ص549.

5 – اهم مصادر العبيد:

***الاسترقاق من أسرى الحروب:**

إذا غزا الرومان أي بلد أو مدينة واستولوا عليها، يؤول كل ما فيها للغالب، حيث يبيعون رجالها ونساءها وأولادها، كما يباع العبيد أو يقتلون جميعاً، أي أن جميع سكان البلد المفتوح هم ملكاً للفاتحين، يتصرفون بهم كما يرغبون، إن شاؤوا استعبدوهم وإن شاءوا أعتقوهم، وكانوا يعاملونهم كغنائم يبيعونهم للنخاسين الذين يرافقون الجيش الروماني، وإذا نقلوهم إلى روما، بيعوا بالمزاد العلني، حيث يوجد سوق للرقيق في كل مدينة، فيعرض العبد على صندوق خشبي، وتُعلق في عنقه بطاقة كتب فيها عمره وأوصافه وعيوبه، فكانوا يبيعون بعد كل حرب ألوفاً من الأسرى رجالاً ونساء وأولادا[1].

*** الاسترقاق بسبب الدين:**

كل شخص يستدين مبلغاً من المال، لفترة محددة ولا يستطيع سداده يحول إلى عبد إذا عجز إنسان حر من طبقة العوام عن قضاء دينه، فعند ذلك يرهن نفسه أو أولاده أو زوجته لدى دائنه، ويتحول عند ذلك الرهين إلى عبد .وتقول إحدى مواد قانون بأنه إذا وجد عدة دائنين، لهم دين على نفس الشخص، فيحق لهم أن يتوازعوا النفس الرهينة، وذلك بتقطيع الجسد وبتقاسمهم إياه.

ويقول المؤرخ الروماني (تيطوس ليويوس) بأن هذا النوع من الرقيق قد أُلغي بموجب قانون صدر (عام ٣٢٦ ق.م)ولكن المؤرخ تيطوس يقول بأنه: ليس من المؤكد أن القانون أُحترم دائماً، ويمكن للدائن أن يبيع المدين فيما وراء نهر التيبر[2].

[1] محفل، محمد: دراسات في تاريخ الرومان، دمشق، ٢٠٠٩، ص195.
[2] عبد الغني، محمد السيد: التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية، الجزء الأول، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٢١١.

***ابن العبد يحول إلى عبد:**

وأبناء العبيد يسمون بالربيعيين، وكان ثمنهم غالياً، لأنهم يعتادون منذ الطفولة على الاستسلام والخنوع. والرقيق بالولادة يطلق عليه اسم < Verna>. والطفل الوليد يتبع عادة وضع أمه الحقوقي، فإذا كانت حرة فهو حر، وإذا كانت أمة فهو رقيق وكان الدائن يحضر المدين أمام الحاكم، وله الحق أن يلوي عنقه <ليلوي عنقه >[1].

مقدمات الثورة:

كانت توجد مدارس لتدريب المجالدين على ايدي مدربين محترفين كانوا يعملون لصالح الحكومة او لحساب بعض الافراد، وكانت مدرسة قابو من اشهر مدارس المجالدين وفي بعض الحالات كان لكل مبارز يرتدي خوذة ذات حفة امامية ويحمل درعا وسيفا قصيرا، وفي حالات غيرها كان كل مبارز يحمل درعا مستديرا وسيفا مقوسا، وفي حالات أخرى كانت عدة المجالد لا تزيد عن شبكة ورمح ذي ثلاث شعب، مصير المنهزم عادة هو أن يقتله قاهره ولكنه كان ينجو أحيانا بحياته اذا اجاد النزال واكتسب بذلك جانب النظارة فلوحوا بمناديلهم اظهارا لعطفهم عليه[2].

ولا ننسى الإشارة الى سوء حال العبيد الذين اوغل الرومان في استخدامهم بالزراعة، ولم يكن حال المجالدين اقل سوءا وكان تدريبهم شاقا مضنيا ومصيرهم الهلاك عاجلا او اجلا[3].

[1] رستم، أسد ،: عصر أغسطس قيصر وخلفائه ٤٤ ق.م ٦٩ م، بيروت، ١٩٩١ . ص111

[2] نصحي، إبراهيم: المرجع السابق،ص393.

[3] نصحي، إبراهيم :المرجع نفسه،ص394.

أحداث الثورة:

وفي خلال عام 73 ق.م، هب حوالي سبعين من مصارعي مدرسة كابوا ثائرين بزعامة مصارع يدعى (سبارتاكوس)، ولم يكد هؤلاء الثوار يعتصمون بأحد الجبال حتى أخذ ينضم اليهم عدد كبير من العبيد التراقيين والسلت والجرمان[1]. الذين ضاقوا ذرعاً بحياتهم في الضياع التي نشاطهم، وكانت النتيجة الطبيعية لنجاح الثوار في هزيمة حملتين اعدهما السناتو على عجل وارسل احداهما بعد الأخرى لقمع الثورة قبل ان يستفحل امرها، أن اشتد ساعد الثوار واتسع نطاق نشاطهم وازداد عدد الذين انضموا اليهم، فلم يوافي عام 73ق.م على نهايته حتى كان كانوا قد سيطروا على جنوب إيطاليا وقد بلغ عددهم نحو 70000 عبد[2].

فوزعوا قواتهم لملاحقة القنصلين اللذان توليا القيادة ضدهم في عام 72ق.م، ومني كريكسوس الكلتي بالهزيمة في ابوليا، فزحف سبارتاكوس نحو الشمال بقصد عبور الالب والالتجاء الى طرقيا، او ليشتت زملائه فيهرب كل منهم الى موطنه الأصلي، تبعه القنصلان ولكنه دحرهما الواحد بعد الاخر ثم دحرهما مجتمعين، واقتحم ولاية غالة القريبة بعد ان هزم حاكمها، غير ان اتباع سبارتاكوس من الغال والحرمان رفضوا مغادرة إيطاليا حيث استمروا في اعمال السلب والنهب، وعادوا الى الجنوب مخربين في طريقهم الأراضي التي مروا بها، ولما كان سبارتاكوس لا يجرؤ على مهاجمة روما، فقد عاد هو الاخر الى جنوب إيطاليا، وقد ساورته فكرة أخرى وهي عبور البحر الى صقلية حيث

[1] .N.GL.Hammond, oxford Classical Dictionary Edition ,oxford university ,1940 ,P.g 1008.

[2] نصحي، إبراهيم ، المرجع نفسه ، ص395.

يوجد آلاف العبيد المتذمرين الذين كانوا على اتم الاستعداد للانضمام اليهم، وبذلك يتحرر هؤلاء العبيد[1].

نهاية الثورة:

وللخروج من هذه الأزمة بعد الكوارث التي أنزلها العبيد بالقوات الرومانية اتجه السناتو في أواخر عام ٧٢ ق.م إلى البرايتور (مارقوس ليقينيوس كراسوس) فمنحه سلطة بروقنصلية غير عادية، ووضع تحت إمرته ثمان فرق[2]، إلى جانب فلول الفرق الأربع التي كانت مع القنصلين.

لقد كان كراسوس ممن ساعد (سلا) في السيطرة على إيطاليا من قبل وأثبت كفاءته العسكرية، ومع ذلك فإنه فشل في سد الطريق جنوباً في وجه سبارتاكوس ورجاله فتمكن العبيد من الوصول إلى رجيوم في اقصى الطرف الجنوبي من إيطاليا، ولكنهم فشلوا في الحصول على السفن التي تنقلهم إلى صقلية[3].

بيد أن وصول مارقوس لوقوّلوس عندئذٍ وهو في طريق عودته من مقدونيا سد طريق بروندیزیوم في وجوههم فحولوا اتجاههم صوب الشمال حيث التقوا بكراسوس[4].

وفي هذه الأثناء حين كان كراسوس لا يزال عاجزاً عن قهر العبيد كان بيومي قد أنهى حرب سرتوريوس وعاد إلى إيطاليا، فتقرر أن يهب لمساعدة كراسوس في مهمته، بيد أنه قبل اشتراك بومبي في محاربة العبيد كان الخلاف قد دب في صفوفهم، مما يسر على كراسوس أن ينزل بهم هزيمتين فادحتين، وأن يقتل سبارتاكوس وعدداً كبيراً منهم[5].

[1] علي، عبد اللطيف احمد: التاريخ الروماني عصر الثورة، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص115-116.
[2] س. ي. كفاليف: تاريخ الرومان، موسكو، لينغراد، ١٩٨٦، ص ٤٠.
[3] نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج ٣٩٦.
[4] نصحي إبراهيم: المرجع السابق، ج ٣٩٦.
[5] س.ي. كفاليف: تاريخ الرومان، المرجع السابق، ص ٤٠٧.

وعندما فر كثيرون من العبيد شمالاً، التقى بهم بومبي ثم قضى على البقية الباقية من هؤلاء الثوار[1]، وبذلك خول لنفسه الزعم بأنه هو الذي أنهى حرب العبيد وأخمد ثورتهم[2].

أما أهم نتائج ثورة العبيد فهي:

هذه الثورات خربت جنوب إيطاليا تخريباً كان له تأثيره على الحياة الاقتصادية في إيطاليا.

– دقت ناقوس الخطر من جديد، مما حفز كثيرين من كبار ملاكي الأراضي على أن يفتحوا صفحة جديدة، من حيث تحسين معاملة العبيد.

– الاتجاه نحو استبدال الأجراء الأحرار بالعبيد حتى لا تنشب ثورة أخرى بين العبيد بمثل خطورة هذه الثورة.

– إن انتصار كراسوس أدخل في روعه أنه قائد عسكري يتمتع بمواهب عظيمة الشأن.

– إن مشاركة بومبي (لكراسوس) في النصر النهائي حرم كراسوس الفضل كل الفضل في شرف إنهاء الحرب، لذلك أصبح كراسوس يكره بومبي كرهاً شديداً.

– وجد مجلس الشيوخ الروماني نفسه أمام قائدين منتصرين على رأس قوات كبيرة على أبواب روما.

– واجهت السناتو أزمة سياسية حادة لم يكن في وسع مجلس الشيوخ اجتيازها بسلام ذلك أن كلاً من بومبي وكراسوس زحف بجيشه صوب روما، واحتفظ به بدون تسريحه وبرغم ما كان بين القائدين المنتصرين من نفور، فإنهما وللإفادة من ظروفهما، وتحقيق أطماعهما اتفقا على المطالبة بأمرين:

[1] نصحي، ابراهيم المرجع السابق، ج ٢، ص 396.

[2] دونالد. ر. ددلي: حضارة روما، المرجع السابق، ص ١٣٦.

أحدهما منح بومبي حق إقامة موكب نصر كبير لإخماده الثورة الإسبانية ومنح كراسوس حق إقامة موكب نصر صغير لقمعه ثورة العبيد.

والمطلب الآخر هو السماح لهما بترشيح نفسيهما لقنصلية عام ٧٠ ق.م.

– لفت الأنظار إلى الأحوال السيئة التي كان العبيد يعيشونها والمطالبة بتحسين أوضاعهم[1].

– لفت الأنظار أيضاً إلى تحسين أوضاع الطبقات العاملة والكادحة من الناحية الاجتماعية ومعاملتهم معاملة إنسانية.

– أما من الناحية السياسية فقد كانت نهاية ثورة العبيد بداية الكراهية والصراع بين بومبي وكراسوس، لأن كليهما وصل إلى أبواب العاصمة مطالباً بحقه في دخولها في موكب نصر.

– إن ثورة العبيد المصارعين دامت ثمانية عشر شهراً، وقضت على عدة قناصل وقضاة من قواد الجيش الروماني.

– ثورة العبيد مكنت القواد الظافرين من التحكم بالدستور حيث اضطر مجلس الشيوخ بعد انتهائها للاحتفاء بظفر كراسوس وبومبي اللذين وافقا على تسريح جيشهما.

– كما اضطر مجلس الشيوخ إلى قبول ترشيحهما إلى قنصلية عام (٧٠ ق.م) على الرغم من أن الدستور لا يجيز لهما ذلك لأنه لم تمض إلا بضعة شهور على كون كراسوس– كان قاضياً –ولأن بومبي لم يكن قاضياً في يوم من الأيام، كما لا يجوز لمن يتولى هذا المنصب أن يصبح قنصلاً حسب قانون سلا.

–أدرك بومبي وكراسوس أنهما لا يتمكنان من الحكم بحرية، طالما أن نظام مجلس الشيوخ الذي أنشأه سيلا ما زال قائماً .لذلك قررا أن يطرحا مؤقتاً خلافاتهما جانباً، وأن يتصادقا ويتحالفا، فانتخبهما الشعب وجعلهما قنصلين.

[1] حمدان، عبدالمجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، 2012، ص75.

– إعادة الصفة الديمقراطية إلى المؤسسات الرومانية.

– فتح باب السلطة الفردية على مصراعيه أمام قواد الجيش متملقي الشعب[1].

الخاتمة:

في الحقيقة لقد كان سبارتاكوس رجلاً شجاعاً وحارب من أجل الحرية، لذلك شجع رفاقه على أن يحطموا الأغلال التي كبلتهم، لا من أجل السلب والنهب، ولا من أجل الوصول إلى مقاعد الحكم، وإنما لكي يتنسموا عبير الحرية، ويعيشوا كما ولدوا أحراراً، لذلك يستحق سبارتاكوس الإجلال والتقدير من أجل هبته للحرية وشجاعته في القتال من أجل الفوز بها، وبراعته في التنظيم وقدرته على أن يكون من رفاقه غير النظاميين جيشاً استطاع أن ينزل هزائم متعددة بالجيوش الرومانية إلى أن دبت الفرقة بين صفوف رجاله وانقسموا على أنفسهم فقدم حياته قرباناً للحرية.

أما بالحديث عن النتيجة الشخصية التي استخلصتها من بحثي المتواضع، ان الرومان شعب محب للحضارة وقد بحث عنها خارج اسوار روما شمالاً وشرقاً وغرباً وجنوباً ومارس الرفاهية واستمتع بها على حساب الاداة الناطقة – العبد – حيث ان الرومان استمتعوا بمنظر الدم والموت واعتقادي الشخصي أنَ هذا الافعال هي مصدر واساس الفساد الخلقي الذي اصاب شعب روما. اما بالحديث سبارتاكوس فهو شخصية تاريخية عظيمة رفض العبودية وناضل من أجل الحرية فدفع حياته قربانا لها.

[1] حمدان، عبد المجيد: المرجع السابق، ص76-77.

المراجع

– المراجع العربية والمعربة:

1. براستد، جامس هنري: العصور القديمة، ترجمة داود قربان، بيروت،1983.
2. الحويري محمود محمد :رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٨١.
3. س .ي . كفاليف :تاريخ الرومان، موسكو، لينغراد، ١٩٨٦.
4. الشاذلي، بورينه–محمد، طاهر :ق رطاج اليونانية تاريخ وحضارة، تونس،1999.
5. عبد الغني، محمد السيد: التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية، الجزء الأول، الاسكندرية، ٢٠٠٥.
6. علي، عبد اللطيف احمد: التاريخ الروماني عصر الثورة، دار النهضة العربية، بيروت، 1988.
7. ف.ديكاكوف، س كوفاليف: الحضارات القديقة،ج2، ترجمة نسيم اليازجي، دمشق، 1959.
8. محفل، محمد : دراسات في تاريخ الرومان، دمشق، ٢٠٠٩ .
9. محمود محمد الحويري : رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٨١.
10. نصحي، إبراهيم: تاريخ الرومان من اقدم العصور حتى عام 133 ق.م، القاهرة، د.ت.
11. ول ديورانت : قصة الحضارة، مجلد ٣، الجزء الثاني، ترجمة محمد بدران، القاهرة،1971.

– دوريات

– حمدان، عبدالمجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، 2012.

*** المرجع الأجنبي:**

-.N.GL.Hammond, oxford Classical Dictionary Edition،oxford university،1940.

References

*** Arab and Arabized references:**

1. Brasted, James Henry: Antiquity, translated by Daoud Qurban, Beirut, 1983.

2. Al-Howeiri Mahmoud Muhammad: A Vision in the Fall of the Roman Empire, Cairo, 1981.

3 x. J. Kavalev: A History of the Romans, Moscow, Leningrad, 1986.

4. El-Shazly, Bourne-Mohamed, Taher: The Greek Carthage, History and Civilization, Tunisia, 1999.

5. Abdel-Ghani, Mohamed El-Sayed: The Political History of the Roman Republic, Part 1, Alexandria, 2005.

6. Ali, Abd al-Latif Ahmad: Roman History, the Age of Revolution, Arab Renaissance House, Beirut, 1988.

7. F. Decakov, S. Kovalev: The Garden of Civilizations, Part 2, translated by Nasim Al-Yazji, Damascus, 1959.

8. Forum, Muhammad: Studies in Roman History, Damascus, 2009.

9. Mahmoud Muhammad Al-Howeiri: A Vision in the Fall of the Roman Empire, Cairo, 1981.

10. Noshi, Ibrahim: The history of the Romans from the earliest times until 133 BC, Cairo, d.

11. Well Durant: The Story of Civilization, Volume 3, Part Two, translated by Muhammad Badran, Cairo, 1971. -

Periodicals

- Hamdan, Abdul Majeed: Slaves among the Romans during the Second and First Centuries B.C., Journal of Historical Studies, Damascus, 2012.